

المجلد الحادي والعشرون

رجب سنة ١٣٦٩

٩٧

مجلة الأزهر



مركز تحقيقات مكتبة الأزهر لعلوم إسلامية

تصَدَّرَ شَهْرِيًّا عَنْ مَشِيخَةِ الْإِسْلَامِ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ

مجلة الأزهر

المجلد الحادى والعشرون

مدير المجلة

ورئيس تحريرها

محمد قنديل

مركز تحقيقات مكتبة الأزهر

الاشتراك السنوى
٤٠ مصر والسودان
٥٠ لخارج القطر المصرى

نمن المبد ٤٠ ملبا

مارة المجر : بديوان الإدارة العامة للأزهر والمعاهد الدينية بالقاهرة

مطبعة الأزهر

١٩٥٠

مكتبة الأزهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عناصر المدنية في الديانة الإسلامية

الرابطة المادية والرابطة الادبية

قلنا في العدد الذي سلف : إن أول عناصر المدنية إحكام أواصر الاجتماع في الجماعة ، واليوم نقول : إن كل اجتماع لا بد له من رابطتين ، إحداهما ذات أغراض مادية ، والأخرى ذات غايات أدبية : فالرابطة الأولى تقتضيها الحاجات الجسدية ، إذ لا بد للجمتمعين أن يكون لهم محاولات لتحصيل ما يوفى بضرورياتهم الجثمانية ، وهذه المحاولات لصعوبتها تستدعي التضافر على إيجادها ، ولا تغنى فيها الجهود الفردية ، فهي رابطة حيوية قوية ؛ إذ لا تقوم الحياة الجماعية إلا بها ، وهي ضرورية تعنى بها الجماعة عنايتها بحياتها ، وتبيح في سبيل صيانتها وجودها الدنيوى رخيصة ، وهي تولد تولداً آلياً في نفسية الجماعات دون أن تحتاج لدعوة .

والرابطة الادبية هي من ضروريات الحياة البشرية أيضاً ، ولم تصادف جماعة مجردة منها في مدى الأدوار التاريخية كلها ، وهي تتألف من أصول ومبادئ يوحى إليها بمحصولها العلى مناسبةً لمداركها العقلية ومواهبها النفسية ؛ فهي تحكم على الوجود وقواه وأحداثه وانقلاباته ، وعلى الإنسان وحياته وتطوراته ومُشْله العليا ومصيره ، تحت ضوء ما ورثته عن أسلافها من دين ، وما طرأ عليها من عادات وتقاليد .

والرابطة المسادية كما تتولد آلياً ، تتطور الادبية آلياً كذلك ، دون أن تحدث في الجماعة أى اضطراب ، لأن المحاولات المسادية من شأنها أن تتشعب تحت ضغط

الحوائل والحاجات ، فتقبل الجماعات تطوراتها كوسائل إنقاذ من العنت والرهق ؛ وهى خلاف ذلك الرابطة الادبية ، فإنها لتعلقها بالمقائد الدينية ، والعادات القومية ، والتقاليد الاجتماعية ، تستمضى على التطور ، وتطالب على دفعه . فإن دفع العلم والتهديب العقلى فريقا إلى قبوله ، أدى ذلك إلى انقسام الجماعة شطرين فى الميول والمُشَلِّ العليا ؛ وقد يتفاقم أمره فيؤدى إلى الثورات المسلحة ، فيقتل بعض الجماعة بعضا غير آبهين بما يصيب أمتهم من الوهن ، وبما يعرض وجودها للخطر .

وقد تكون مظاهر هذه الثورات اجتماعية باحة ، ولكنها ترجع بالتعليل إلى عوامل أدبية ، كشمور الطبقة العاملة بحيف واقع عليها من ناحية الطبقة القابضة على زمام الثروة العمومية ، وعدم معاملتها بروح العدالة التى تقتضيها الاخوة القومية . فالعوامل الادبية فى الجماعات هى الاسس التى يقوم عليها بناء المجتمع ، فإذا لم تكن مرنة مسابة لحركات التطور الشمورى والادبى للنفس البشرية ، فلا يعقل أن يستقر نظام أو تزدهر مدنية .

ومن يتأمل فى كثير من أحوال الجماعات الأوروبية ، التى بلغت مدى بعيدا فى المدنية ، يأخذ العجب مما آلت إليه من اضطراب شئونها ، واختلاف ميول شعوبها ؛ حتى لم يوفق بعضها لإقامة حكمومه تثبت أمام هذه الأعاصير من القلاقل بضعة أشهر . والسبب فى ذلك تحول طرا على مبادئها الادبية تحت تأثير خطباء من ذوى اللسن والحلافة الكلامية ، حشواهم ، إن حقا وإن باطلا ، بأن العدل يقتضى أن يكون نصيبهم من ربح الاعمال التى يقومون بها ، يكفيهم ويكنى من يعولونهم الحاجة . وما لم يمتطوا أجورهم على هذا الوجه ، فلا يفتأون يعتصبون ويمضطربون ، بل يشورون حتى تجاب مطالبهم . فانظر كيف أثر هذا التحول فى المبدأ على الجماعات ، حتى جعلها فى أمر مريب لا يخلص منه إلا حدوث إصلاح عام للبدا نفسه ، تنق به هذه الزعازع . وكيف يمكن أن يتم إصلاح تستقر الامور عليه على طريقة الارتجال ، وهو إذا أرضى فريقا استخط فريقا آخر لا يقل عن

الأول إثارة للقلاقل والارتباك ؟ فانظر إلى أى حد يضطرب نظام الجماعات تحت تأثير المبادئ والأصول ؟ ثم انظر إلى أى حال من الدقة والاتزان يجب أن تكون تلك المبادئ والأصول ، لتعيش في ظلها الأمة أجيالا متوالية قرونا كثيرة ، لتصل إلى مدنية تنفيذ منها البشرية انتقالات مادية وأدبية ؟ .

فلنرجع الآن بعد بسط هذه المقدمة إلى موضوعنا الأصلي وهو : عناصر المدنية في الديانة الإسلامية ، فنقول : العنصر الثاني بعد توثيق أواصر الاجتماع هو :

فرض رابطة أدبية ، على الجماعة تضمن حقوق الأفراد ، وتعين واجباتهم ، وتحدد دوائر نشاطهم ، وتكون من المرونة وقبول التطور بحيث لا تصطدم في أدوار وجودهم ، بما ينادون إليه من تزيينات مادية وأدبية ، بل تسيرم في تلك الأدوار ، وتماشيهم في طريقهم إلى المثل العليا من جميع محاولاتهم ، بما يناسب جميع طبقاتها ، ويوائم حوافز نفسياتها ، فتعيش وهي مركبة من طوائف شتى ، في نطاق هذه الرابطة ، كأعضاء الكائن الحي ، تتكافل جميعها على إبلاغه الغاية القصوى مما قدّر له من ارتقاء وبقاء .

لا يعرف في تاريخ العالم الإنساني بأن رابطة اجتماعية قامت على هذا النحو غير الرابطة الإسلامية ، فقد جاءت في كل هذه الشؤون البشرية بالنهايات التي ليس وراءها مرمى ، تاركة فهم مكائنها من السمو للأجيال المقبلة : « سزيرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » . ولذلك أوصلت الأمة التي تولتها إلى أرفع المكانات الاجتماعية ، دون أن يحتاج أهلها إلى تعديل عوج في أصولها ، أو تبديل نص من نصوصها . خلافا لجميع الأمم التي وصلت إلى غايات بعيدة في مدنياتها ، فإن روابطها بدأت ساذجة جائرة ، ليس للضعفاء فيها حق يحترم ، ولا للمساواة فيها مبدأ يلتزم ، بل كان السلطان كله للقوة والغلب ، فكانت في كل مرحلة من مراحل وجودها تهجد نفسها في معصمان ثورة بين الأقوياء والضعفاء ، تنتهى عادة بخيال من حقوق بناها هؤلاء بعد جهاد ضيف ، ولا يزالون ينفقون هذه المساواة ، ولم ينالوها كاملة إلى يومنا هذا .

ألا تعجب أن أكبر العقول البشرية عجزت عن قبول مبدأ المساواة في الحقوق الوطنية، فقرر أفلاطون شيخ الفلسفة، وتلميذه أرسطو أميرها، أن العمال وأرباب الصنائع يجب أن يكونوا مجردين من الحقوق الوطنية. أما السود من العبيد ومن على شاكلتهم، فلا يجوز أن يعتقد أن لهم أرواحاً إنسانية خالدة كأرواح البيض، فهم بعد موتهم يستحيلون إلى تراب كما تستحيل إليه أجساد الحيوانات العجم؟

ولما خلفت هذه المدنية اليونانية المدنية الرومانية، جرت على شاكلتها في معاملة سواد الأمم، فاعتبرتهم مسخرين للكبراء وأصحاب الثروات، ومضت في ذلك 'قدماً حتى ضج العامة من فداحة ما عوملوا به من الامتهان والظلم، وفضلوا أن يهيموا على وجوههم في القفار على أن يصبروا على إذلال لا تطيقه الطبيعة البشرية. فاضطر الخاصة أن يرضخوا لهم ببعض مطالبهم، فعادوا مغلوبين على أمرهم، ينتهزون كل فرصة للشغب والخروج عن الطاعة، وما زالوا على ما كانوا عليه من سوء الحال حتى تألبت القبائل الهابجة المجاورة للامبراطورية الرومانية في إيطاليا على إبادتها فبادت في سنة (٣٩٥) م وتلتها في الزوال الامبراطورية الرومانية الغربية حين فتح الأتراك القسطنطينية هاصتها في سنة (١٤٥٣) م بعد أن كانوا جردوها من جميع ممتلكاتها الأوروبية.

أما الرابطة الإسلامية فقد خلصت من جميع الملل الاجتماعية، فلم تنطو على أصل يناقض العقل أو يدابر العدل، أو يؤدي إلى اصطدام الطبقات والأجناس في دور من أدوار الاجتماع، أو يقف حائلاً بين الجماعة والترقي في مرحلة من مراحل حياتها الطويلة، أو يمكن تأويله لمصلحة فريق دون فريق، وهذا الأمر الجلل من الآيات الخالدة، يدل على أنه وحى من مدبر الوجود والكائنات، لأنه ثمرة تفكير فلسفي، أو تدبير علمي؛ فقد سبق زمان وحيه بما لا يقدر من الأجيال، وجاوز حدود الطاقة العلمية والفلسفية لعهد تشريعه بما لا يتخيله إنسان.

ألا تعجب أنه بينما كانت أرقى فلسفة في العالم، تقرر أن الصنائع والعمال لا يستأهلون أن يعترف لهم بالحقوق الوطنية، وأن الأرقاء مثلهم كمثل الحيوانات

العجم لا أرواح لهم تبقى بعد موتهم ، كان الإسلام يسوى بين جميع الطبقات في الحقوق الوطنية ، ومنهم العبيد السود ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لابيض على أسود ، إلا بتقوى الله وعمل صالح ، وجرى العمل على ذلك من ذلك العهد ، فعين رسول الله بلالا ، وكان عبداً حبشياً ، والياً على المدينة وفيها أبو بكر وعمر ، وجمهور كبير من كهراء الصحابة ، وولى غيره قائداً لجيش كان من جنوده الصديق والفاروق وغيرهما من أجلاء المسلمين ! هذا عجيب حقاً ، وهذه المساواة في الحقوق ، كانت إحدى الأسباب التي صانت وحدة المسلمين من التفكك ، وحثتهم من الاضطرابات الثورية ، في مدى قرون متوالية . فهم بهذا الاعتبار ، كما كانت من أوثق حواظ الترابط الاجتماعي ، كانت كذلك من أقوى عناصر المدنية ، ومن أشدها شخذاً للهمم في الذهاب بها إلى أقصى حد يمكن أن تصل إليه : لأن المدنية تستمد إبداعها المادي من الصناعات اليدوية ، فإذا كان رجال هذه الصناعات يجدون أنفسهم محرومين من الحقوق الوطنية ، فلا يجدون من البواعث على الإلتقان والابتكار ما يجده المتمتعون بجميع الحقوق الاجتماعية : لذلك لم يكذب يخلف المسلمون الأولون من سبقهم من الأمم في الخلافة العالمية : حتى نهضت الصناعات اليدوية نهضة لجانية بزوا بها جميع الأمم التي تقدمتهم في الوجود ، وصارت بلادهم مثابة لطلاب العلم والحكمة والصنائع ، يقتبسون منها ما يسدون به حاجتهم الاجتماعية . واستمر الحال على هذا المنوال مئات من السنين . فإذا كانت الشعوب الإسلامية قد تدهورت إلى ما هي عليه الآن من الناحية الإبداعية والفنية ، فإنما كان ذلك لأسباب انحراف المسلمين عن الصراط السوي الذي قام عليه أسلافهم : أما وقد أدركوا ذلك الآن ، وبدأوا يستقيمون على الطريق السوي الذي كان يسلكه أوالهم في الدين والدنيا ، فسيصلون إن شاء الله إلى مثل ما كانوا عليه من السبق إلى كل غاية كريمة .

نأتي إن شاء الله في مقالاتنا المقبلة على بقية عناصر المدنية .

السنة التشريعية :

الرجبية

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ فكري ياسين

أخرج أحمد والنسائي، والبيهقي والحاكم وصحاحه من حديث الحارث بن عمرو أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، فقال رجل : يا رسول الله ، العتائر والفرائع ، قال : « من شاء عتّر ، ومن شاء لم يعتّر ، ومن شاء فَرَعَ ، ومن شاء لم يَفَرع . »

• • •

كان من عادات العرب في الجاهلية أنهم يذبحون في العشر الأول من شهر رجب ذبيحة ، يتقربون بها لأصنامهم ، يسمونها « العتيرة » ، وكانوا يسمونها « الرجبية » ، أيضاً ، كما وقع ذلك في حديث مختلف بن محمد بن سليم ، ولفظه : « هل تدرّون ما العتيرة ؟ » هي التي تسمونها الرجبية ، وسميت عتيرة - بوزن عظيمة - أخذاً مما كان يفعل من الذبح ، وهو العتّر ، فهي فعيلة بمعنى مفعولة ، وسميت رجبية لحصول ذلك في شهر رجب . قال النووي : واتفق العلماء على تفسير العتيرة بهذا المعنى المتقدم ، ولكن قيل : العتيرة نذر كان يذره من بلغ ماله كذا أن يذبح من كل عشرة منهاراً رأساً في رجب . وقيل : هي أن الرجل كان يقول في الجاهلية : إن بلغت إبل مائة عتّرت منها عتيرة .

وكذلك كان من عاداتهم أنهم يذبحون أول التّناج لطواغيتهم ، ويسمونه « الفَرع » ، ويقال فيه « الفرعة » ، أيضاً بالهاء ، واختلفوا في تفسيره ، فأكثر أهل اللغة وجماعة من أهل العلم على أنه أول نتاج البهيمة ، كانوا يذبحونه ، ولا يأكلونه رجاء البركة في الام ، وكثرة نسلها ، وهؤلاء نظروا في تفسيرهم هذا إلى اعتبار أول نتاج الدابة على انفرادها . فأما من نظروا إلى اعتبار نتاج الجميع ففسروه بأنه أول التناج للإبل ، وهذا فسرّه البخاري ومسلم ، وغيرهما من أصحاب

السنن . وقيل : هو أول التاج لمن بلغت إبله مائة . قال أبو مالك : كان الرجل إذا بلغت إبله مائة ، قدّم بَكراً ، فنحره لصنمه ، ويسمونه قَرَعاً . وقد أطلق الفرع أيضاً على الطعام الذي يصنع لتاج الإبل ، كالحرس للولادة .

* * *

اختلفت الأحاديث الواردة في حكم العتيرة والفرع ، فمنها ما يدل على عدم مشروعيتها في الإسلام ، كحديث أبي هريرة المتفق عليه ، وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا فرع ولا عتيرة » ، وكرواية أحمد والنسائي : أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الفرع والعتيرة .

ومنها ما يدل على مشروعيتها ، ولكنها ظاهرة في عدم الوجوب ، وخالية من الدلالة على ما ينفي الاستحباب أو يثبت ، كالحديث الذي معنا .

ومنها ما يدل على المشروعية أيضاً ، ولكن في صورة الوجوب ، كحديث مخنف : « على كل أهل بيت في كل عام أضحية وعتيرة » ، وحديث نبيته : « قال رجل : يا رسول الله ، إنا كنا نعتز عتيرة في الجاهلية في رجب ، فأتأمرنا ؟ قال : اذبحوا لله في أي شهر كان ، قال : إنا كنا نفرع في الجاهلية ، قال : في كل سائمة فرع ، تغذوه ماشيتك ، حتى إذا استعمل ذبحته ، فتصدق ببلحمه ، فإن ذلك خير ، وحديث عائشة : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرصة من كل خمسين واحدة » ، وحديث عمرو بن شعيب : « سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الفرع ، فقال : الفرع حق ، وأن تركوه حتى يكون بكراً ، أو ابن مخاض ، أو ابن لبون فتعطيه أرملة ، أو تحمل عليه في سبيل الله خير من أن تدبحه فيلحق لحمه بوبره ، وتكفأ إناؤه ، وتوله ناقته » (١) .

وإزاء هذا التعارض الواضح بين ظاهر الأحاديث ، تعددت أقوال العلماء في هذا الشأن ، فذهب جماعة منهم إلى أن الأحاديث المانعة من مشروعية العتيرة

(١) يعني بذلك أن ذبحه في هذه الحالة يذهب لبن لثاقه ويفسدها ، وذلك أنهم كانوا يذبحونه حين يولد ، ولا شج فيه ، فيلحق لحمه بوبره ، ويكون صاحبه كأنما أكفأ إناؤه ، وأراق لبنه ، فينبغي أن يترك حتى يكبر ، ليطلب لحمه ، ويستمتع بلبن أمه ، ولا يشق عليها مفارقتها ، لأنه يكون قد استغنى عنها .

والفرع ناسخة للأحاديث المثبتة لها . وذكر القاضي عياض : أن جماهير العلماء على النسخ ، وبه جزم الحازمي ، ولكنه تعقب بأن النسخ لا يتم ، ولا يجوز الجزم به إلا إذا ثبت تأخر تاريخ ما قيل إنه ناسخ عما قيل إنه منسوخ ، ولم يثبت ذلك .

وذهب جماعة آخرون إلى أن أعدل الأقوال هو الجمع بين هذه الأحاديث المتعارضة في الظاهر ، وذلك بأن تحمل الأحاديث القاضية بالمنع من العتيرة والفرع على نفي الوجوب ، وتحمل الأحاديث الأخرى المفيدة للوجوب على الاستحباب فيكون معنى حديث : « لا فرع ، ولا عتيرة ، — لا فرع واجب ، ولا عتيرة واجبة . » أو يحمل معناه على نفي ما كانوا يذبحون لأصنامهم في رجب ، أو على أن الفرع والعتيرة ، ليسا كالأضحية في تأكيد الاستحباب ، أو في ثواب إراقة الدم ، لأن تفرقة اللحم على المساكين برّ وصدقة . فالحديث على هذا لم يفد إلا نفي الوجوب ، أو أنه لم يبطل الفرع والعتيرة من أصلهما ، وإنما أبطل صفة من كل منهما ، فأبطل من العتيرة خصوص الذبح في شهر رجب ، وأبطل من الفرع كونه يذبح أول ما يولد ، كما أشير إلى ذلك في حديث : « الفرع حق ، فإنهم لما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن حكم ما كانوا يصنعونه في الجاهلية خوفا من أن يكره في الإسلام ، أعلمهم أنه لا كراهه عليهم فيه ، وأمرهم استحبابا أن يغذوه ويتركوه حتى يحمل عليه في سبيل الله . وأما قوله : « حق » ، فعناه أنه ليس بباطل . وهو كلام عربي خرج على جواب السائل .

وأما الحديث الذي معنا ، فهو وإن كان صريحا في عدم الوجوب ، ومسكوتا فيه عن نفي الاستحباب أو إثباته ، إلا أنه يمكن أخذ الاستحباب من دلائل أخرى كحديث أبي داود : أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن العتيرة فحسبها ، وحديث أحمد والنسائي عن أبي رزين العقيلي قال : « يا رسول الله ، إنا كنا نذبح ذبائح في رجب ، فنأكل منها ، ونطعم من جامنا ، فقال له : « لا بأس بذلك » .

ونقل الطحاوي عن ابن عون أنه كان يفعله ، ومال ابن المنذر إلى هذا ، وقال : كانت العرب تفعلها ، وفعلها بعض أهل الإسلام بالإذن ، ثم نهى عنهما ، والنهي لا يكون إلا عن شيء كان يفعله ، وما قال أحد إنه نهى عنهما ، ثم أذن في فعلهما ، ثم نقل عن العلماء تركهما إلا ابن سيرين .

ويرى بعض أهل العلم أنه يصح في حديث تحسين العتيرة، وحديث أبي رزين العقيلي أن يعتبرها كالقرينة الصارفة للأحاديث المقنضيه الوجوب عنه إلى الاستحباب .

وأما ما جاء في رواية لأحمد والنسائي من أنه صلى الله عليه وسلم ، نهى عن الفرع والعتيرة ، وأن معنى النهى الحقيقي هو التحريم ، فإن هذا لا يؤثر في الجمع بين الأحاديث السابقة بالطريقة التي ذكرناها ، لأن النهى يبقى على معناه الحقيقي إذا لم توجد قرينه تصرفه عنه ، ومتى وجدت هذه القرينه أخرجته عن هذا المعنى ، وقد سبقت الإشارة إلى بعض الأحاديث التي يصح أن تكون قرينة على ذلك . على أنه يمكن أن يحمل النهى على معنى آخر ، وهو أن يجعل موجهها إلى ما كانوا يذبحونه في الجاهلية لأصنامهم ، وحينئذ يكون النهى باقيا على معناه الحقيقي ، ويكون غير متناول لما ذبح من الفرع والعتيرة ، ولغير ذلك مما فيه وجه قرينة . وما يكون الذبح فيه ابتغاء مرضاة الله تعالى برأ بالفقراء ، وسداً لحاجاتهم . ومن هذا استدل الشافعي بقوله عليه الصلاة والسلام : « اذبحوا لله في أى شهر كان ، على مشروعية الذبح في كل شهر إن أمكن ، وقال في سنن حرملة : إنها إن تيسرت في كل شهر كان حسنا ، لما يعود على الفقراء من البر والمنفعة .

أدب جعفر

كان جعفر بن محمد من آل البيت ، يقول : إني لاملق أحيانا ، فأناجر الله فربحني . وقال رضى الله عنه : « من تخلق بالخلق الجليل ، وله خلق سوء أصيل ، فتخلقه لا محالة زائل ، وهو إلى خلقه الأول آيل ، كطلى الذهب على النحاس ، ينسحق وتظهر صفوته للناس .

وهذا كقول العرجي :

يا أيها المتحلي غير شيمته ومن خلانقه الأقصار والملق
ارجع إلى خلقك المعروف وأرض به إن التخلق يأتى دون خلق
وكان يقول : ما توصل إلى أحد بوسيلة هي أقرب إلى من يد سلفت منى
إليه ، أتبعها أختها لتحسن ربهما وحفظها ، لأن منع الأواخر ، يقطع لسان الأوائل .

نَاحِيَةٌ مِنْ أُسْلُوبِ الْفَرَّازِ فِي الْفَصِّصِ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد محمد المديني

المفتش بالأزهر

اختلف الناس في ذى القرنين ، المذكور في قوله تعالى : « ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا » : من هو ؟ فقال بعض العلماء : إنه هو الإسكندر الأكبر اليوناني ، ملك مقدونيا المشهور في التاريخ ، ومن هؤلاء الإمام الرازي ، فقد أطال في الاحتجاج لذلك مستدلاً بوجوه منها : أن ملكاً كهذا الملك الواسع ، الذي بلغ أقصى المغرب والمشرق والشمال ، لا شك أنه على خلاف العادات ، وما كان كذلك وجب أن يبقى ذكره مخلداً على وجه الدهر ، وألا يبقى مخفياً مستتراً ، والملك الذي اشتهر في كتب التاريخ ، أنه بلغ ملكه إلى هذا الحد ، ليس إلا الإسكندر ، ثم انتهى الرازي إلى ما يشبه الجزم بهذا الرأي حيث يقول : « فوجب أن يكون المراد بذى القرنين هو هو » - يريد الإسكندر الأكبر - لكنه أورد بعد هذا إشكالا لم يحله ، هو أنه كان تلميذاً لأرسطو الحكيم ، وكان على مذهبه ، وتعظيم الله إياه يوجب الحكم بأن مذهب أرسطو حق وصدق ، وذلك مالا سبيل إليه .

وقد حاول النيسابوري الرد على هذا بأن مذهب الفلاسفة ليس بباطل كله ، فربما كان الإسكندر على الحق الذي فيه دون الباطل .

وبعض المفسرين يرى غير ذلك ، ومنهم من يرى أنه كان نبياً ، يوحى إليه بدليل قوله تعالى : « قلنا ياذا القرنين » ، وقد رد ذلك بأن القول في القرآن كثيراً ما يراد به غير الخطاب اللفظي كالوحي ، ومن ذلك قوله تعالى : « فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين » ، وقوله تعالى : « وأوحى ربك إلى النحل » . فعنى قوله تعالى « قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا » : الهمناء ذلك .

والذي أميل إليه أن ذا القرنين المذكور في القرآن هو الاسكندر الأكبر ، كما ذكر الرازي واليسابوري وغيرهما للأدلة التي استدلوأ بها ، أما الإشكال الذي ذكره الإمام الرازي ، فإنه لا يقوم عقبة في طريق هذا الرأي ، لأن الله سبحانه وتعالى لم يصرح عن ذي القرنين بأكثر من أنه قد مكن له في الأرض ، وآناه من كل شيء سيأ ، وهذا قدر لا يدل على أنه كان رجلاً مثالياً في دينه وعقيدته .

وكل ما يمكن التمسك به في تعزيز أنه كان منصفاً بصفات أهل الإيمان ، هو ما جاء في قوله تعالى : قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً ، قال أما من ظلم فسوف نعذبه ، ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً ، وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى ، وسنقول له من أمرنا يسراً .

وفي رأي أن هذه المحاورة وما فيها من الأقوال ، ليست على ظاهرها المفيد صدور ذلك من ذي القرنين لفظاً ونطقاً ، وإنما هي تصوير لحديث نفسه وإلهام الله إياه بما يفعل ، ولا شك أن الملوك حين يفتحون بلداً أو إقليماً ، تدور في خواطرهم أحاديث نفسية عما يفعلون بالمفلولين ، وقد علمنا من تاريخ الاسكندر أنه كان حكماً ، أو أنه كان واسع العقل متصلاً بالفلسفة ، فن الطبيعي وهذا شأنه أن الله قذف في روعه هذه المعاني التي تحدث عنها الآية ، ويسرها إلى نفسه ، فكان له مرحلتان في التأمل ، أولاهما : أنه بحكم الفتح والغلب قادر على أن يعذب هؤلاء القوم أو يعفو عنهم ؛ الثانية : أنه يحسن به أن يفرق بين من ظلم فيعذبه ، ومن لم يظلم فيعفو عنه .

فالآية تفسر هذا الحديث النفسي ، ولكن بأسلوب القرآن الذي يعبر عن خلجات النفوس ، وخواطر الأشخاص تعبيراً فيه مزج بين ما يكون من الناس ، وما يكون من الله ، يراد منه الإشعار بأن الأمر كله لله ، وأن هذا تيسير الله وفعله وتوجيهه ، فهو يجري قول الله الذي هو بمعنى سنته وتيسيره ، ونهيته على لسان من يقص عنه ، لأنه أدار هذا المعنى في نفسه ، أو لأنه سخره لتحقيقه ، وما كان القول المنسوب إلى ذي القرنين إلا قولاً لله في الحقيقة ، فهو الذي يقرر بسنته وتيسيره وتوجيهه لعباده ، أن الظالم يقع في الدنيا تحت سلطان من يعذبه

وينتقم منه ، وفي الآخرة يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً ، وأن المؤمن الذي يعمل الصالحات ، له في الآخرة جزاء الحسن ، وله في الدنيا التيسير ، وأن يحيا حياة طيبة . ومنقول له من أمرنا يسرا ، أى سنجعل أمره يسراً هادئاً لا صعوبة فيه . وشيبه بهذا قوله تعالى : فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسر ، وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى ، ولا أجد فرقاً بين قوله تعالى : فسنقول له من أمرنا يسرا ، وقوله جل علاه : فسنيسره لليسر ، وعلى هذا يكون الكلام كله في الآية ، منسوباً إلى ذى القرنين ، لأنه حديث تحدث به نفسه على الإجمال ، وهو من حيث المعنى والتعبير هذه الصورة المركزة المكتملة ، التي فيها الحديث عن جزاء الدنيا وجزاء الآخرة ، وعن التيسير لليسر قول من الله أضافه إلى من صدر عنه الفعل ، وكان مظهراً لتحقيق مضمونه .

وهذا الأسلوب في القرآن الكريم كثير ، وأمره يختلط على من لا يلتفت ، وبما يوضحه قوله تعالى في آخر هذه القصة : قال هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاً ، وكان وعد ربى حقاً ، وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ، ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا ، وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا ، فقد مزج في هذه الآيات بين ما يمكن أن يكون صادرا من ذى القرنين وهو : هذا رحمة من ربى ، إلى ، وكان وعد ربى حقاً ، وبين ما هو صادر من الله جل علاه ، وهو قوله : وتركنا بعضهم ، الخ ، فالقرآن يسوق ذلك كله ، ولا يعبأ بتحقيق إسناد الأقوال إلى مصادرها ، لأنه لا يريد إلا أن يفهم الناس معنى القول في ذاته ، سواء أفهموا أنه صادر منه تعالى ابتداء ، أو حكاية عن مصدر آخر لم يكن إلا مظهراً لتحقيق قول الله وسنة الله والله قائل بلسانه .

ولعل مما يقرب هذا المعنى ما جاء في قصة الهدد وسليمان إذ يقول الله تعالى حكاية عن الهدد : إني وجدت امرأة تملكهم ، وأوتيت من كل شيء ، ولها عرش عظيم ، وجعلتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدمهم عن السبيل فهم لا يمتدون ، لا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ، ويعلم ما تخفون وما تعلنون ، الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم .

فع الاعتراف بأن الكلام المروى على ألسنة الطير أو الحيوان ، قد يأخذ في معنى نسبته حكما غير الكلام الذي يروى عن الناس ، فإن أكاد أجزم بأن الامر في الحالتين واحد ، من حيث عناية القرآن بإبراز المعنى في ذاته وتعميمه ، دون أن يعبا بتحديد مصدر القول : أهو المتحدث منه في القصة أم الله جل جلاله ، وهنا نجد الكلام منساقا على ظاهر يحمل من يقف عند حرفيته على أن ذلك كله من كلام المحدث ، مع أنه من حيث المعنى يشتمل على أصول دينية ، كثيرا ما يتكلم فيها القرآن صادرة من الله جل جلاله ، وليتأمل القارىء قوله تعالى : يسجدون للشمس من دون الله ، الخ .

وعما يقرب ذلك أيضا قوله تعالى فيما حكاه عن الجن : « وأما منا المسلمون ومنا القاسطون ، فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا ، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ، وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا . لغفتهم فيه ، ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعبا ، وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا » .

فلست أقول : إنه لم يصدر قول من الجن والكلام على التصوير والتثيل - لست أقول ذلك وإلا لكانت حاكيا بخلاف الظاهر في أمر غيبي أخبرنا الله تعالى به ، وإنما أقول : إن الجن صدر منهم كلام كما قال الله ، ولكن السياق قد يبدو منه أن هذا الكلام كله من قول الجن ، لأنها جل متعاطفة تتصل بمعنى واحد ، بينما نجد في بعض هذا الكلام قرينة لفظية على أنه من كلام الله لا من كلامهم ، هي قوله « لأسقيناهم ماء غدقا لغفتهم فيه ، الخ فهذا يؤيد المعنى الذي أردت تقريره ، ويدل على أن القرآن يسترسل في تنعيم المعاني ، وهو بصدد الحكاية عن يقص عنهم ، وقد وجدت في هذه الآية قرينة لفظية ، وفي آيات أخرى قد لا توجد مثل هذه القرينة اللفظية .

هكذا فهم أقرره ولست محتذيا فيه أحدا قبلى ، وأرجو أن يفتح الله لى فيه أبوابا من التمثيل غير ما قدمت ، ويوفقنى إلى تتبعه وترسيخه .

وأحسب أن هذا التخرج أولى ما يحل به إشكال الإمام الرازى رحمه الله .

مِنْ تَوْجِيهَاتِ الْفَارَبِ

١. ، قد أفلح من تزكى

٢. ، فلا تزكوا أنفسكم

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الطيف البكي
المفتش بالأزهر

١ - مقدمة : شيء من الفطنة ينبه قارئ القرآن الكريم إلى ما بين آياته
من توجيهات أكيدة إلى تربية الخلق ، وتكوين الشخصية المعنوية في الفرد
وفي الجماعة .

والقرآن حينما يعرض للخلق لا يكون حديثه عن أمر ثانوي ، أو في غرض
تبعي ، وإنما يكون معنياً بالغاية الفضلى التي بها يرتبط نظام المجتمع ، والتي لاجلها
كانت رسالة الانبياء وللاجلها كان التشريع . وإنما بعثت لأتم مكارم الاخلاق ،
تلك الغاية هي : إصلاح الخلق والاعتماد على الاخلاق في تكوين الشخصية المعنوية
لل فرد والجماعة ، تكويننا تتمثل فيه الإنسانية الرفيعة ، وتستقيم إلى جانبه الحياة في
أوضاعها الصحيحة .

قيام النظم على سلامة الاخلاق ، وإصلاح الحياة بصلاحها ؛ مبدأ فطري ليس
من عمل إنسان ولا من مصطلحات الجماعة ، ولم تجر سنة الله يوماً في خلقه
أن يستقيم شأنهم على فساد الخلق ، أو يطيب لهم هيش وتروق لهم الحياة على
مرج وعيب .

هذا مبدأ سائر الزمن ونهضت تحوم حوله العقول من تاريخ قديم ، وراعت
الفلسفة الأخلاقية في أطوارها المختلفة ، ومناهجها المتعاقبة سوى التحليق حول
الخلق ، وتجميع قواما لبحث الخلق وتبسيطه ، وتقسيمه وتحديد جملته وتفصيله ،
والإبانة عن أثره في حياة الناس إيجابا أو سلبا .

فإن يكن الخلق منبعاً من منابع الفلسفة ، وإليه الورد وعنه الصدر لعقول
ناضجة وأفكار نابغة - وإن يكن لفلسفة الأخلاق جهود مضيئة في استقصاء الخلق
والإلام به ، أو تكن لم جهود مشكورة في توجيه الناس إلى حسن الخلق ومحاولة
أخذه به ، فكل ذلك استجابة للفطرة فبدأت إليه ، من إقامة النظم على أساس
الخلق ، والاهتمام به من ربكة الحمجية ومتاعب القوضى .

ونظرة إلى الفلسفة الأخلاقية في أوسع حدودها - وأن لم أكن
من دارسها - وإلى جهود الفلاسفة في أروع صوت لها ، تريك أن شيئاً من هذا
على فرض صوابه كله لا يزيد ولا يبعد عما جاء في القرآن الكريم ، وإنما ترفق
القرآن فعمد إلى الجوهر وذكر ما ذكر من أنواع الأخلاق بأسمائها في بساطة
وإيضاح ، وترك للعلم تفصيل ما هنالك مما تهيم به الفلسفة الرزينة .

وترفق القرآن فيسردنا إلى التيسير في توجيه الناس نحو الخلق ، وترك للعقول
الحصيفة اختيار ما تقضى به الضرورات المصلحية من وسائل أخرى .

وما ترك القرآن في محتوياته شيئاً من مقومات الحياة الكريمة ، إلا اشتمله
إن لم يكن تفصيلاً فإجمالاً ، والقرآن حين يحمل يعتمد على السنة وبيان الرسول ،
ثم على أولى العلم من أهل الذكر في مختلف الأزمان ، وقد فرض الله علينا
أن نرجع إلى رسوله ليبين لنا ما نزل إلينا ، وفرض على رسوله أن يبلغ ويبين ،
وفرض الله علينا وعلى أهل الذكر من بعد أن نتفاهم وتعرف .

فإذا لم يصادفنا إزاء هذا الكلام جدل ومكابرة ، أمكن أن ندرك حقاً قول
الله سبحانه ، ما فرطنا في الكتاب من شيء . . .

٢ - ونحن الآن فيما تنبأنا للحديث عنه أمام آيتين من كتاب الله يختلف أسلوبهما ويتحد مرماهما .

(أ) فأولاهما : وعد من الله بالفلاح لمن تزكى ، ووعد الله في غنى عن التأكيد ، ولكنه مع ذلك جاء في آيتنا مؤكداً بلفظ قد ، ليكون من وراء التأكيد اطمئنان ، وليكون بدل الشك يقين ، ويكون الاقتناع حاسماً لزعة الجدل في الإنسان ، وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً ، فهنا دعوة إلى التزكية ، والمزكى مفلح على التأكيد .

(ب) وفي الآية الثانية : نهى عن التزكية ، والنهى على أصله يقتضى تحريم الفعل المنهى عنه ، فتزكية النفس محظورة ، والمزكى لنفسه آثم خاسر ، وهذا في ظاهره إشكال ، ومثله مألوف في الدراسة الأزهرية فيما ترى ! ما التزكية التي تطلب إلينا مرة ونهى عنها أخرى ؟

التزكية من الزكاة ، وهو في لغة العرب النماء والزيادة ، وكما يكون النماء أو الزيادة في الأمور الحية تكون في المعنويات ؛ وهنا يرادفها الطمر من الأدناس ، والسمو عن النقائص ، ووضع النفس حيث يطيب موضعها ، ويرتفع قدرها لتأخذ بين الناس نصيبها من الكرامة ، وعند الله حظها من رضوان ؛ ذلك هو معنى التزكية ، وهو معنى لا يرغب عنه ، فكيف تنهى عنه بعد أن دعينا إليه ؟

وجوابنا : أن الوصف الخلقى له قيمته حسبما يسلك إليه المرء سبيله ، فيكون أخذاً به دائماً عليه حتى ليرقى به - أو يكاد - من تطبع إلى طبع ، ومن تصنع إلى عقيدة وديدن .

وحينما يبلغ المرء هذا المبلغ في جانب الخير والعمل المحمود ، يكون أوفى على الغاية ، واستقر في وضع كريم ، وفي حكمه من يحاول توجيه نفسه ويتحاشى الفعل البغيض ، ويجاهد ما استطاع في مناصرة عقله على هواه ، ومغالبة الخير على سواه ، ولو لم يصل إلى أن يكون طبعاً أصيلاً فيه . فكلما هذين مصداق من تزكى قريباً بنفسه عما يشين قدره ، ويخرج سمعته أو ينقص دينه . وتلك هي التزكية التي دعينا إليها ، وحثنا القرآن عليها ، ووعد بالفلاح من أخذ بها ، ولم ينحرف عنها .

وهناك أناس ، قعدت بهم المهمة عن تكميل أنفسهم ، وصدم الكسل عن المحاولة ، وطاب لهم أن يعيشوا على نقص في خلقهم ، ولكن الانانية تدفع بهم إلى الخداع ، فيخلعون على أنفسهم مدائح ليست فيهم ، وينتحلون مكارم لم تعرف عنهم ، ويزجون بأشخاصهم في عداد أهل الخير ، وليسوا من أهل الخير في أسبقية ، بل ولا في شيء .

فهذه تزكية للنفس ولسكنها مكذوبة ، وهي خدعة يراد منها الدخول إلى قلوب الناس ، حتى يمنحهم الشاء ، ويضفوا عليهم شيئاً من الإجلال .

هذه التزكية اللسانية الباطلة هي التي نهى الله عنها ، وحظرها علينا ، لأن من ورائها خطراً يمس صاحبها ويتمدها إلى سواء .

صاحب هذه الخدعة مصروف عن التفكير في تكميل ما به من نقص ، وعلاج ما به من مرض خلقي ؛ فهو ساذج في غفلة ، وسار في ظلمة ليل .

وصاحب هذه الخدعة يستدرج الناس إلى تمجيده ، وقد يغتر بذلك من لم يعرف شأنه على الحقيقة فيقع في أحيرة من شره ، ويكتوى بشواظ من ناره . واحد من هؤلاء الأذعياء يكفي للتنغيص على جماعة ، بل لإفساد الحياة بين قوم وجماعة من أولئك المخادعين كفيلة بالنقض من شأن أمة كريمة ، والهبوط بسمتها ، واستفزاز الخصوم وغير الخصوم إلى سوء القالة فيها .

لهذا الخطر الذي قد يحتمل به أناس ، ندد القرآن بالأذعياء ، ونهى عن تزكية النفس بالقول ؛ حتى عم في النهي وتناول به الأخيار من أهل الخير ؛ فهم كذلك منهيون عن تزكية النفس على هذا النحو المردول ، مخافة أن يمسهم غرور أو يعلق بهم رياء .

وانظر إلى النهي وإلى ما اقترن به ؛ فإنه تعالى يقول : فلا تزكوا أنفسكم ، ثم يقول : هو أعلم بمن اتقى ، يعني أربحوا واستريحوا من ثنائكم على أنفسكم ، فثوب الرياء يشف عما تحته ، وشهادتكم لا ترفع من شأنكم ، وكل منكم مجزى بعمله .

وقد تظاهرت آيات أخرى من كتاب الله مع الآيتين هنا فيما تضمنته من توجيه إلى العمل الجدى ، والتبلى عن زخرف القول وباطل الدهوة ، مما يعتبر فى ميزان العقل هزلا وضعة وسفها ، فمن قبيل الآية الأولى قوله عز شأنه : « قد أفلح من زكاه ، وبأبى الله تعالى إلا أن يتم هذا الوعد بوعيد من كانوا من الفريق الآخر إذ يقول : « وقد غاب من دساها ، يخفى دنسها وهبط بها . ومن قبيل الآية الأولى كذلك ، ومن تركى فإنما يتركى لنفسه ، .

ومما يظاهر الآية الثانية قوله تبارك شأنه : « لا تحسبن الذين يفرحون بما آتوا ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم ، فذلك شأن من يعمل القبيح ويود أن يذكر بالخير .

ونحن فيما نشهد نرى اللص والمحتال والعرييد وأرباب النقائص ، يحب كل منهم أن يوصف بغير ما فيه : مما يعرف بمركب النقص دون أن يحاولوا التنزه عن تلك الممانات التى يتحمل المجتمع غرمها ويعانى ألمها .

لذلك حرص الإسلام على استئصال الرذيلة من أصولها ، ودرء المفاسد بسد أبوابها ؛ لئلا تنأصل وتصبح داء عياء ، وهو غير بعيد منا اليوم .

ومما يصور لنا هذا التوجيه أصدق تصوير قول النبي عليه السلام : « عليكم بالصدق فإن الصدق يهذى إلى البر ، وإن البر يهذى إلى الجنة ، ولا يزال الرجل أو العبد - يصدق ويتحرى الصدق ؛ حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهذى إلى الفجور ، وإن الفجور يهذى إلى النار ، ولا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ، يعنى يصدق العبد فى أول أمره أو يكذب ؛ فإذا تمادى ودأب أصبح طبعاً أصيلاً فيه ، وعلى مقتضاه يسير ؛ فيجزى عليه بالخير عند الله أو يؤخذ ، وهكذا ، وهذا باب واسع المدخل فسيح الأرجاء ، وسنعود إليه مرة أخرى إن شاء الله وكان فى الأجل بقية .

السَّيرافي

لفضيلة الاستاذ الدكتور الشيخ محمد محمد بن الفحام
الاستاذ بكلية اللغة العربية

اسمه وكنيته ونسبه :

أجمعت المصادر التي بين أيدينا على بيان اسمه وكنيته ونسبه :
أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي . من أصل فارسي .
وكان أبوه مجوسيا ، يسمى بهزاد ، فأسلم بعد ابنه ، فسماه ابنه هذا
« عبد الله » .

تاريخ ومكان ولادته: *مركز تحقيق كميور علوم رسي*

أجمع المؤرخون على أنه ولد بسيراف ، فرضة على الخليج الفارسي ، إليها
نسب ، وبها اشتهر . أما تاريخ ميلاده فلم يعلم بالضبط ، فابن النديم وياقوت
اقتصرا على قولها : إنه ولد قبل سنة ٢٩٠ هجرية . ثم ذكر ياقوت نقلا عن علي
ابن عيسى أن السيرافي ولد سنة ٢٨٠ هجرية . ويؤخذ من كلام ابن خلكان أنه
ولد في سنة ٢٨٤ هـ : لأنه قال : إنه مات سنة ٣٦٨ هـ عن أربعة وثمانين عاما ،
ومعنى هذا أنه ولد سنة ٢٨٤ هجرية . ونستطيع أن نؤكد أن ماجاء بكتاب
السيوطي « بغية الوعاة » من أنه ولد قبل سنة ٢٧٠ هجرية ، خطأ من الناسخ
أو من الطابع ، حيث كتب ٧٠ بدلا من ٩٠ .

نشأته العلمية:

بدأ السيرافي دراسته بمسقط رأسه « سيراف » ، حفظ القرآن ، وتعلم مبادئ
الفقه واللغة ، ثم ترك سيراف ولما يبلغ العشرين من عمره ، وعبر البحر إلى عمان ،

حيث تفرغ فيها لدراسة الفقه الحنفي ، ثم عاد إلى سيرا ، ومنها إلى عسكر مكرم — مدينة من مدن الأهواز — حيث درس علم الكلام على أبي محمد بن عمر الصيمري . ثم سافر إلى بغداد حيث أتم دراسته ، وقضى بها بقية عمره ، مفتياً وقاضياً ومدرساً .

أشياخه

درس السيرا في علم الكلام على أبي محمد بن عمر الصيمري ، واللغة على أبي بكر بن دريد ، والنحو على أبي بكر بن السراج ، والقرآن على أبي بكر بن مجاهد ، والتفسير على أبي بكر بن زياد النيسابوري ، وعلى أبي منصور محمد بن أحمد الازهرى .

مكانته العلمية:

كان السيرا في مبرز في علوم اللغة والنحو والفقه والتفسير والحديث ، والفرائض والعروض والقوافي والحساب . وقد تصدر لتدريسها جميعها في بغداد ، وأخذ عنه بعض أشياخه ، فقد قرأ عليه للنحو أبو بكر بن مجاهد وابن دريد ، وأخذ عنه القرآن والحساب ابن السراج ومبرمان . وكانت له شهرة خاصة بشرح كتاب سيويه ، فكان العلماء يسافرون إلى بغداد من جميع البلدان الإسلامية حتى من الأندلس ، ليشهدوا مجالسه ، ويغترفوا من مناهل علمه .

وكان متبحراً في فقه الحنفية ، فظل مفتياً بمسجد الرصافة ببغداد مدة أربعين سنة على رأى بعض المؤرخين ، أو خمسين على رأى بعض آخر ، فما وجد له خطأ ، ولا هثر على ذلة . وكان يحتمد أحياناً ، فيفتى بما لا يتفق ومذهب الحنفية .

وكان ينوب في القضاء عن أبي محمد بن معروف ، في الجانب الشرق ببغداد ، ثم في بغداد جميعها ، ثم في الجانب الشرق فقط . وكان حسن الحظ ؛ طلب للعمل بديوان الإنشاء فأبى .

صلاحه وتقواه :

كان السيرافي — رحمه الله — مثلاً عالياً للعالم العامل ، جمع بين شرف العلم وحلية العمل ، كان تقياً نقياً يسكثر من قراءة القرآن ، ومن الصلاة بالليل ، والصيام بالنهار ، وقد قيل إنه صام أربعين سنة ، وما قرىء عليه شيء فيه ذكر الموت والبعث إلا بكى . وكان زاهداً في الدنيا ، لا يقبل هدايا العظماء ؛ بل لم يأخذ أجراً على فتوى أفتاها ، ولا على درس علمه ، ولا على قضاء قضاء .

وكان — رحمه الله — ورعاً ، لا يأكل إلا من كسب يده ، فكان لا يذهب إلى الحكم ، أو إلى إلقاء درس قبل أن ينسخ عشر ورقات من مخطوط يبيعها بما ينفقه على نفسه .

وقد طارت شهرته في جميع البلدان الإسلامية ، فكانت الرسائل تأتيه من ملوكها ووزرائها وعظماؤها ، يستفتونه في مسائل علمية ، وبخطاطبونه بعبارة التبجيل ، ويلقبونه بالإمام ، وبشيخ الإسلام ، وبشيخ الشيوخ ، وبالشيوخ الجليل . غير أنه كان كسكلاً عظيم نايبة ، له خصوم ومنافسون ، وحساد يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله . وقد ذكر لنا المؤرخون اثنين من منافسيه : أحدهما أبو علي الفارسي النحوي المشهور المتوفى سنة ٣٧٧ ، فقد حنق على أبي سعيد لما شرح كتاب سيدييه ، وجعل الفارسي وأصحابه يبحثون عن نسخة من شرح المكتتاب لانتقاده ، وإظهار عيوب وأخطاء يكون في إشهارها تشهير بالسيرافي وحط من قدره ، ولكنهم لم يوفقوا إلى العثور على المخطوط إلا في السنة التي مات فيها السيرافي ، عثروا عليه بألفي درهم ، وقد جددوا في البحث عن عيوب وأخطاء الكتاب ، فما كانوا من المهتدين .

والثاني هو أبو الفرج الأصهباني صاحب كتاب الأغاني ، المتوفى سنة ٣٥٦ هـ فقد هجما السيرافي بهذين البيتين :

لست صدرا ولا قرأت على صد ر ولا عليك البكي بشاف
لمن الله كل نحو وشعر وعروض يحى من سيراف

مؤلفاته :

ينسب مؤرخو السيرافى إليه الكتب الآتية .

(١) شرح كتاب سيبويه . ومنه نسخ خطية بالمكتبة الملكية المصرية ،
إحداها بخط عبد اللطيف البغدادى الرحالة الشهير . وقد انتفع به هذا الشرح
المستشرق الألمانى ، جمن ، فى ترجمة كتابه سيبويه إلى اللغة الألمانية ، الترجمة
المطبوعة ببرلين سنة ١٨٩٤ م . وقد حل كتاب سيبويه بهذا من هذا الشرح فى
طبعة المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣١٦ هـ .

(٢) شرح مقصورة ابن دريد .

(٣) ألفات الوصل والقطع .

(٤) شرح شواهد كتاب سيبويه .

(٥) المدخل لكتاب سيبويه .

(٦) الإقناع ، فى النحو ، كتاب لم يته السيرافى ؛ لكن أتمه ابنه يوسف

من بعده .

(٧) كتاب الوقف والابتداء . كتاب يتعلق بقراءة القرآن .

(٨) صنعة الشعر والبلاغة .

(٩) أخبار النحاة البصريين . طبع فى بيروت سنة ١٩٣٦ م مع تعليقات
للمستشرق . ف . كرنىكو . وقد صرح السيوطى فى مقدمة كتابه بغية الوعاة
فى طبقات اللغويين والنحاة ، أنه اطلع على هذا الكتاب واستعان به فى مؤلفه .

(١٠) كتاب جزيرة العرب ، كتاب اعتمد عليه ياقوت فى تأليف كتابه

و معجم البلدان .

التقليد وفطره

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
الأستاذ بكلية أصول الدين

(تتمه)

- التقليد في الأمور العامة
- التقليد في العلم والدرس
- النتيجة العامة للبحث

من البلاء المبين أن يتعدى التقليد من الفرد للجماعات المختلفة، وإلى هذه الأمة ممثلة في الآداة التي تدبر أمورها العامة، وهي ما تعارفنا على تسميته بالحكومة. وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته أن المغلوب مولى دائماً بتقليد الغالب؛ إذ يعتقد فيه الفوق في التقاليد والعوائد ومذاهب الحياة، وأن هذا هو السبب في ظموره عليه. وهذا مع صحته في الماضي والحاضر، لا يمنع من القول بأن الإفراط في تقليد أوربا في عامة شئوننا، لا يحمل منا أمة لها شخصيتها التي يجب أن تقوم على ما نحرص عليه من دين ولغة وتاريخ وتقاليد خاصة بنا.

إن من البلاء المبين أن تقليدنا للغرب لم يقف على الأفراد، أو على ما هو ضروري من الأمور كالصناعات والنواحي الفنية؛ ولكن تعدى هذا وذاك إلى العادات والتقاليد التي ترجع في أسسها إلى الدين، كما سبق أن تعدى إلى الشرائع والقانون.

وفي الناحية العلمية، تدور في الأزهر في حلقة مفرغة من التقليد، لا تدرى آخرها من أولها. نجد هذا الكتاب في هذا العلم أو ذاك لا يختلف عن الآخر إلا بشيء من التغيير في الوضع والترتيب. أما الأفكار والآراء فهي، قد

جدنا عليها فلا نبغى بها بديلا ، بل صرنا من التقليد إلى أننا لا نستطيع الوصول إلى هذا البديل لو أردناه !

وكان من هذا أن ندر بيننا الكتاب الممتازون والفقهاء المشرعون ، مع كثرة من يحذق فينا علوم اللغة والفقه ! وأن صار لنا كثير من العلماء بالمنطق والتوحيد ، وليس لنا من حاول إصلاح المنطق القديم كما حصل في أوروبا ؛ ولا من حاول أن يجعل علم الكلام علما يتناسب وعقليات العصر ويهتدى به الفضال ! وكان من هذا أيضا أننا نجتمع على أن الإسلام دين الله الحق الصالح لكل زمان ومكان ، ومع هذا لم نحاول حتى الآن عرضه كما يجب : عقيدة وتشريعا وأخلاقا واجتماعا واقتصادا . أقول ، واقتصادا ، عامدا ، لأن الإسلام ، وهو دين شامل عام ، وفي هذه الناحية حقها ، هذه الناحية التي تفرق العالم اليوم معسكرين متعاديين ، وله طرقه الحكيمجة الناجعة في معالجة مشكلة الطبقات ، وما تجره من مشاكل الفقر والجهل والمرض . وعلينا نحن استخراج مذهبه في هذه الناحية لنقى العالم — على الأقل الشرق والإسلامي — خطر الشيوعية والانحلال وحرب الطبقات ، ولسكتنا نكتفي في هذا السبيل بدعاوى عريضة نرسلها وقرارات تصدرها .

يا قوم ! إن الأمر خطير ، ولا يحل هذه المشاكل قرارات تصدرها لجنة الفتوى أو الأزهر كله بهيئاته المختلفة .

علينا ألا نكتفي بالدعاوى ، وبالركون إلى الموجود من المؤلفات في الإسلام ، نقلها بين أيدينا كأننا نقل جسم ، لاهياة فيه تنفع في هذا الزمن ، علينا أن نكتب كتبنا جديدة ، نعرض فيها الإسلام من تلك النواحي ، ونبين فيها كيف يجب أن نعمل لتحقيق العدالة الاجتماعية ؛ فإنه لا نزول هذه الفوضى ، ولا يمكن أن نتق الشيوعية إلا بالقضاء على سبيلها الوحيد وهو الظلم الاجتماعي ، فذلك سنة الله التي لا تبديل لها .

بذلك نكون قد أدينا واجبا كبيرا للامة والإنسانية كلها ، وبذلك نستطيع أن نكون صالحين للتعاون مع ممثلي المسيحية : لتكوين جبهة لمحاربة الإلحاد والمبادئ الهدامة . أما بالعكوف على القديم وحده ، وبالتقليد في كل شيء حتى

في التفكير ومناهج الدرس ، فلن نستطيع أن نصل إلى خير ، ونكون جناة على أمتنا وأبنائنا جنابة يتحمل علينا حملها ووزرها .

إنها جنابة أن نحمد على ما ورثناه عن أسلافنا من ثراث ، فلا تناوله بالتعديل والتغيير ، مستهين بتقدم العلم وحاجات العصر ، ولو لمنى أجدادنا المعظام بما كُنينا به منذ قرون من جمود وتقليد ، لما كان لنا اليوم إلا مذهب واحد في الفقه والتشريع ، وعلوم الكلام واللغة والتفسير مثلاً .

إن من الواجب أن نرفع الصوت بأن كل من تقدمنا في الحياة ، ما عدا الأنبياء والمرسلين فيما أرسلوا من أجله ، يصيبون ويخطئون ، فلا معنى إذاً للتقليد في كل شيء ، ولعل بعضنا يكون أفهم للأمر ، وأقرب للحق وأهدى للصواب من كثير من هؤلاء السابقين . ومن أجل هذا ، يكون واجباً على كل منا أن يستعمل عقله فيما وُهب له من أجله ، وأن يطلب لنفسه الاستقلال في الرأي الذي يتبعه الاستقلال في الشخصية ، وإلا كان مقصراً في طلب الكمال الذي جعل الله له وسائله .

مركز تحقيق تراثنا في علوم إسلامي

هذا ، وإذا كان لكل حديث نهاية ، ولكل بحث غاية يهدف إليها ، فإن أحب أن أجل هذه الغاية أو النتيجة في كلمات :

١ — لو لم يكن من غرائز الإنسان أو من طبيعته التقليد ، لكان عسيراً كل العسر ، إن لم نقل متعذراً في كثير من الأحيان ، أن يصل الإنسان إلى كثير من المعارف وإتقان كثير من الأعمال . ولولا هذه الظاهرة الطبيعية ، لعز على المربي أن يبلغ بطفله أو تلميذه إلى ما يريد له من كمال .

٢ — ولكن ينبغي أن نحذر في الإفادة من هذه الغريزة ، فلا نمرف في التقليد ، وبخاصة فيما لا نعلم علم اليقين أنه خير ، فذلك لإثم أكبر من نفعه ، وحسبنا أنه ينتهي بمحو شخصية المقلد ، وصيرورته تابعاً لغيره في تفكيره وطرأق حياته الاجتماعية على الأقل .

وما ينبغي لأحد منا أن يتعلل بما يذكره بعض رجال المذاهب الأخلاقية ، من أن سعادة المرء في أن يحسن التكيف بما تكون عليه يئته ، أي في القدرة

على هذا التكيف وإحسانه في غير عنت أو مشقة . ما ينبغي لنا ذلك ، لأنه فرق كبير بين رعاية البيئة أو الوسط الاجتماعي فيما هو خير ، وبين الانطباع بهذا الوسط خيره وشره ، كما هو ملحوظ في حالات كثيرة في هذه الأيام . إن منا من يغير رأيه في هذه المسألة أو تلك ، بعدد ما يغير من مجالسه أو جلساته مع غيره .

٣ - من الواجب ، ونحن في نهضة اجتماعية ، ألا يكون الواحد منا مادة تنفعل بغيره ، وبما يكون من ذلك الغير من أحداث ؛ بل يجب أن يكون المرء في نفسه قوة تفعل ، قوة لها أثرها الطيب منا وهناك .

إن عامة الغربيين يرون فينا ، معشر الشرقيين ، جماعات لم يعبأ لها كيان مستقل ولا شخصية خاصة ، مادام الكل يرى في الغرب مثله الأهل يفتلده في أكثر طرائق الحياة ؛ أما الخاصة من رجال الغرب ، أعني العلماء الذين لم يهر يتجاوز ظواهر الأمور إلى حقائقها ، فيرون أن هذا الاتباع من الشرق للغرب اتباع ظاهري ، وأن للشرق وراء هذا روجه الخاصة به ، هذه الروح التي لا تلبث أن تظهر من جديد ناصعة ، قوية يفيد منها الشرق والغرب معاً ، بعد أن صار هذا الأخير - وقد أنهكت قواه الفلسفة المادية - بحاجة إلى بعث جديد يقوم على روح جديد ، يلتصقونها لدى الشرق والإسلام .

فلنبين إذاً لعامة الغربيين خطأ ما يمتقدون من أن الشرق أضاع روحه وشخصيته في تقليد الغرب ، ولنحقق للخاصة منهم ، وهم العلماء الذين لم يهر نافذ ، ما يعملون على التماسه لدينا من خصائص في الطابع والشخصية والروح ، لا قوام للشرق بدونها ، ولا غنى للغرب عن الاستفادة منها .

بهذا يعود من الممكن لنا أن نحتفظ بما لنا من كيان خاص ، ونساعد العالم على اجتياز المحنة التي تطحنه طحناً هذه الأيام ، ونكون قد ساهمنا في تقدم العالم وسعادته ، والله ولي التوفيق .

مَكْنَزُ الْأَخْلَاقِ

بين الفلسفة والأدب

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أبو بكر ذكرى
الأستاذ بكلية أصول الدين

الفصل الثاني

وفضيلة العدالة صفة إنسانية تتفاضل وتتفاوت تبعاً لأسبابها ومقوماتها في النفس الإنسانية .

وهذه الأسباب والمقومات ، إما أن تكون أموراً كسبية إرادية ، كالتعليم والتدريب في شتى ضروبه وأشكاله ، وإما أن تكون أموراً جبرية وهبات لا دخل للكسب فيها ، كركة الطباع ، ودمائة الخلق التي تظهر أحياناً مبكرة في الطفولة الإنسانية ، إما بعامل الوراثة ، أو بعوامل أخرى عليها عند مبدعها وخالقها تعالى . ولا بد لكامل فضيلة العدالة من تضافر هذه الأسباب والمقومات جميعاً ، لإخراج شخصية إنسانية ، كاملة العلم ، وفورة الذكاء والانتباه ، مهذبة الغرائز ، تدرك تمام الإدراك ، العاية التي خلقت لها والطريق الموصل إليها ، وثق كل الثقة في المثل العليا ومرامها السامية ، وتفرق بين مطالب الأمانية الفردية ، ومبادئ الواجبات الاجتماعية بحدود واضحة المعالم ، وترتبط مع مجتمعا برابط وثيق من الشعور المتبادل ، أو ما يسميه علماء النفس وعلماء الاجتماع : المشاركة الوجدانية ، عالمة تمام العلم بما لها على المجتمع ، وما للمجتمع عليها من حقوق وواجبات ، وأشعر شعورا واضحا مطردا بما للإنسانية من قيم ذاتية .

أما عندما تنعدم تلك الأسباب والمقومات كلها أو بعضها ، فإن صفة العدالة تنعدم كذلك من الشخصية الإنسانية ، فتنزل من درك إلى درك ، حتى تنحط إلى مستوى البهيمية والوحشية ، شأن الهمج الطغاة ، الذين لا يعيشون على أديم الأرض ، إلا ليلثوا تنازع البقاء بأخس الوسائل وأقبح المظاهر . وهذه الحال

هى ما يسميها بعض الكتاب : « شريعة الغاب » . وعندى أن شريعة الغاب ظلم ، إذ يشبه بها ذلك النوع البشع من السلوك الإنسانى . إن حيوان الغاب لا يمدو غالباً إلا بدافع الحاجة الملحة ، والجوع المستعرج ؛ هل حين أن الظالمين من بنى البشر يندفعون إلى ذلك بعامل بطر الغنى وأثر القوة ، إن الإنسان ليطنى ، أن رآه استغنى .

وإن الذين تستهويهم شياطين الجهل والغرور والإدلال بالقوة والجاه والوصول ليحسبون أنفسهم دائماً ، خلقاً آخر لا يمتون إلى العالم المحيط بهم بصلة ولا يربطهم به سبب ولا نسب . ولو رجع أولئك الاغرار إلى طبيعتهم العاقلة وأجادوا التبصر والفهم ، لأدركوا تماماً أنهم مرضى الجهل والهوس والكبرياء وحب الظهور والتعالى السكاذب ، الذى يخيل إليهم أن الإنسانية كلها تحت مواطئ أقدامهم ، وعلى أشلائها يجب أن تحثك هاماتهم بنجوم السماء ؛ شأن فرعون إذ قال : « يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات ؛ فأطلع إلى إله موسى ، وإنى لأظنه كاذباً . وكذلك زين لفرعون سوء عمله . . . »

ولو أحسنوا التبصراً أكثر فأكثر ، لعلوا أن هذا الشذوذ الخلقى الغيبي الوخيم الاعمى ليس إلا مرضاً لا يخفى على ذوى البصائر من مخالطهم ومواطنهم ، وإن من بين الانظار المصرية إليهم أنظار مآخريه وضاحكين ومستهزئين ، بينما يظن البلاء أنها جميعاً أنظار مكبرين وممججين .

ولو أمعنوا فى التأمل لعلوا أنهم لو اقتطعوا وأفردوا أفراد البعير المبعد عن أولئك الذين يحتقرونهم ، ويغدون على قدسية حقوقهم من إخوانهم ومواطنهم ؛ لما تواروا ولا وكانوا أحقر من قلامة ظفر . . . نعم . لو أمعنوا فى التأمل وأدركوا ذلك لهانت عليهم أنفسهم وقدروها حق قدرها ، ووفر فى نفوسهم أنهم كبقية الخلق ، من طين وماء ، وأن عليهم للناس حقوقاً بقدر ما لهم من واجبات ، وأن العدالة خير ميزان ينصفهم من الناس وينصف الناس منهم ؛ فيعيشوا سعداء ويعيش بهم مجتمعهم سعيداً قريراً العين ، تسعهم جميعاً رحمة الله وتفيض عليهم نعمه ظاهرة وباطنة .

وليست فضيلة العدالة - لسوء حظ الإنسانية - بالفضيلة التى يسهل الحصول عليها ، ويتأتى الوصول إليها بأيسر الأسباب وأهون الكلف . إنها ، على الضد

مكارم الاخلاق

٦٠٥

من ذلك ، وعرة المرتقى عالية الذروة . هي فضيلة الحكماء الحقيقيين ، وصفة
الامراء النابهين ، وتاج الملوك الموفقين ، وحلية الرؤساء البارزين ، وسلاح
الساسة الناجحين . ولا بد للحصول عليها من منبت شريف ونسب زكى ووراثه
نقية من الشوائب ، وهمه نزاعة الى المعالي . أما الظلم فما أيسره وأكثره . إنه
كأشواك أودية العوسج ، يكاد يسد على الإنسانية مسالكها ، وينغص عيشها
ويقض مضجعا .

أما أثر العدالة في الجمعيات الإنسانية ؛ فإن التاريخ يرينا بملء أعيننا أنها أم
ال عمران ، ودعامه النجاح وسبيل التقدم في مدارج الحضارة ، وأوثق وسيلة لبلوغ
الأمم أوج العظمة والمجد الباذخ ؛ كما أن الظلم كان ولا يزال سبب الفشل والخراب
والانحطاط والضعف والتدهور إلى حضيض الهون .

ولقد ضرب الله سبحانه لنا في كتابه الكريم ، أمثال أمم بادت وانقرضت
بمعامل الظلم والعدوان وتناهى فضيلة العدالة السامية ، لقد كان لسبأ في مسكنهم
آية : جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور .
فأعرضوا ، فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خبط وأثل
وشىء من سدر قليل ، ذلك جزيناكم بما كفرتم ، وهل نجازى إلا الكفور ،
وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة ، وقدرنا فيها السير ؛ سيروا
فيها ليلالى وأياما آمنين ؛ فقالوا ربنا باهد بين أسفارنا ، وظلموا أنفسهم ، فجعلناهم
أحاديث ، ومزقناهم كل ممزق ، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور .

كذلك أدال الله من دول بلغت أوج المجد ، ثم فسدت طوية أهلها فتظالموا
وتقاطعوا وتقاتلوا على أنفسهم كالقياصرة والاكاسرة الذين محا الله ملكهم ،
وخلص العالم من طغيانهم ؛ إذ أرسل عليهم جنود عدله حملة لواء الإسلام ، فأورثهم
أرضهم وديارهم وأموالهم ، وكانت عدالة الإسلام خير وسيلة لفض جوعهم وفتح
حصونهم ، وخير ملجأ ينضوى إليه المظلومون من عامتهم وخاصتهم ، والظلم
مرآته وبيل وخيم لا يبق ولا يذر .

كانت العدالة أساس النعالم المحمدية السامية ، ورباط مجتمعها الوثيق ، يقوم
فيه الرسول الكريم بأعظم وأسمى قدوة عرفت لمعلم أخلاق على مر القرون .
كان يعدل بين الأسود والابيض والاحمر والأصفر ، لا فضل لعربي على عجمي

إلا بالقوى ، . رسالة تضمن الحق لكل من تثبت له صفة الإنسانية . لا تفاخر ولا تطاول ولا تعاظم إلا بالعمل الصالح المتواضع والخلق السامى الركين ، سماحة وصبر وعفو وياسرة وهدى وإرشاد لا ظلم ولا انتقام ولا طغيان . وكان خليفته الأول أبو بكر رضى الله عنه الساج على منواله ، والسائر على هديه ، والذي يرى القوى ضعيفاً حتى يأخذ الحق منه ، والضعيف قوياً حتى يأخذ الحق له ، والذي يرى نفسه مسئولاً حتى عن عدوان ذئب على شاة لأحد الرعية ، ولو كان بأقصى مملكة الإسلام الواسعة . وهل بعد هذا دقة في الشعور بالمسؤولية واستشمار العدالة ؟

أما عمر بن الخطاب عليه رضوان ربه ، فكان أبعد الخلفاء في ذلك غوراً وأخلد في سيرة . إن صحائف تاريخه الناصع تروى لنا أنه ما كان يسمع لنفسه يوماً أن تستشعر لها ميزة على أحد من رعاياه . كان يسمع اللوم والتفريع من كل من يتقدمه نقداً عادلاً لا فرق بين رجل وامرأة ولا بين حر وعبد ، ولا بين كبير وصغير . وحسبنا عدالة بحاكم كان يسهر الليل جواب آفاق ، والناس نيام ، ليستوضح أحوال الرعية ، ويلبس بنفسه من وراء الحوائط آلام البائسين ، ويتف على خللات المعوزين ، غير منتظر منهم ولا من أعوانه إيصالها إليه في مجلس عدله . لأن من الناس من يقنع بؤسه ، ويستر جرحه الزفاف تصوناً وضناً بالكرامة ؛ ومن الأعوان ، مهما أخلصوا من لا يشعر بشئ ما يشعر هو به من عظم الوزر وجلال المسؤولية ، فن ذا الذي يستطاع أن يبط له اللثام عن كل شاردة وواردة من آلام رعيته ، إلا أن تكون نفسه الحساسة بمواضع الآلام ؟ ولرب بؤس في الحياة مقنع أربى على بؤس بغير قناع . . وبهذا كان أكثر من أب حذب على أبناء يعدون بالملايين .

ومن أبدع ما يروى عن عدله الدقيق : أن بعض رعاياه ، كانوا ينزلون بداره ضيقاً ؛ فيصيبون من طعامه الذي يقدم له ما يجملهم يأفون على حظهم ، لفوات ما كانوا يقدرون أنهم سينالونه هل مائدة خليفة واسع السلطان من الطيبات . ولكنهم لو علموا أن رجل العدالة رجل قلب لا رجل بطن ، وأن له من لذة الإيمان بالعدل ما تنفقه معه أطايب المطاعم والمشارب ، وجميع لذات الدنيا ؛ لما عجبوا ولا دهشوا .

ولقد كان أقرب خطم الرهبة من يده القوية خطام أهله وعشيرته الاديين ؛
 يتخذ منهم هدفًا لمضى العدالة ، يراه الناس ، فيأتون ويؤمنون ويعملون ويخلصون .
 وأية ثقة بعد الثقة بكم يقدم هند التتدائد نفسه وأهله ، ويقدم عند المعانم سوام .
 ليقيم حجة العدالة ناصعة سافرة كالشمس العظيمة رأد الضحى ؟ ومن يُرد عجائب
 عدله فليرجع الى صفحات التاريخ فإنها عجب الدهر .

ومن بديع مآثور التاريخ في هذا المعنى ما روى من أن عمر بن عبد العزيز
 الخليفة الاموى العادل ، كان يمتز على نفسه حتى لا يمس درهما من مال الدولة
 بغير حقه . وراق له يوما أن يستنجر خادمه بعض ما لا يعلم من أحوال الرهبة
 فقال له : ماذا يقول الناس فينا بعد أن صار هذا الأمر إلينا ؟ ، فأجابه الخادم
 في حدة وغيظ : ، وماذا يقولون ؟ والله لقد كنا قبل هذه الخلافة أسعد حالاً منا
 بعدما ، . وهنا بدا للخليفة الصالح أن خادمه يكابد من العيش ما لا قبل له بمثله ،
 فأحسن اليه وسرحه سراحاً جميلاً ، وقال له : أنت حر مطلق وسأبقى أنا فيها
 حتى يكتب لى الله عنها مصرفاً . وقد بقي فيها ما شاء الله أن يبقى دون أن يجهد
 عن سبيله القويم ؛ حتى وافاه أجله ، رضى الله عنه وأرضاه .

ومن الطرائف في تحرى العدل ما روى : أن المأمون الخليفة العباسى كان يوماً
 يمشى قاضيه على طريق في بستانه ، وكان القاضى يستره من الشمس بظلة ، فلما أراد
 الرجوع ، حاول القاضى أن يظل ناحية الشمس ليبقى ستاراً له ، فأبى المأمون
 إلا أن يكون ستاراً للقاضى واحدة بواحدة . فقال له القاضى : يا أمير المؤمنين
 لو استطلعت أن أفيك بنفسى من حر النار لفعلت ، فقال المأمون رحمه الله : نعم ؛
 ولكن ليس ذلك من كرم الصعبة .

وبعد ، فهل يحسن بعقل يحترم نفسه وإنسانيته أن يحمل قيمة العدالة ، وما لها
 من آثار صالحة في سعادة الافراد والمجتمعات ؟

العدالة فضيلة أساسية تقتضيها جميع المعاملات الاجتماعية : تقتضيها علاقة
 المرء بأهله ، وعلاقة الجار بجاره ، والقريب بذوى قرابته ، والرئيس بمرؤسيه ،
 والحاكم بمحكوميه ، وكل مواطن مع مواطنيه ، حتى يكون السبيل أهدى والطريق
 أقوم . نسأله تعالى الهداية .

صِنَائِعُ الْمَعْرُوفِ

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد عبد التواب

مفتش الوعظ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنائع المعروف تقي مصارع السوء ،
والصدقة خفياء تطفي غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر ،
وكل معروف صدقة ، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ،
وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة ، وأول من يدخل الجنة
أهل المعروف . »

رسول الله ، وإمام هذه الأمة ، سيدنا المصطفى المختار ، يحيط هذه الأمة
بسياج من الفضل ، ويوثق بين أفرادها برباط من المحبة ، ويجمعها على ألفة
لا تنفصم ، يفيض عليهم من نور النبوة ، ويلبسهم من نسيج الحكمة ، وينثر عليهم
من عذوبة الفاظه ، وسحر بيانه ، وجوامع كلمه ، ألوانا فيها متعة السمع والنفس
والقواد ، وفيها هزة الدنيا وسعادة الآخرة .

صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

ومن من الناس لا يستجيب لهذا التوجيه الحازم ؟ فإن في الحياة منازق
وعثرات ، وإن في الحياة أحداثا تفرع على المطمئن بابه ، ثم تثب ، فتدفع في عنف
وتصرع دون إشفاق ، والذي يقف هذه القوارع ، ويدفع تلك المصارع ، إنما
هي صنائع المعروف ، فهي الوقاية من لفحات هذه المهلكات ، وهي العصمة من
تلك الكبوات القاصمات .

فإذا كانت هناك يد تمتد بالمعطاء في الخفاء ، ليست بذات مَنْ ولا رياء ،
وإذا صدق البر بالأقارب ، وتتابعت صلة الأرحام ، وإذا أغيث الملهوفون ،
وفرّج المكروبون وانتصف للظالمين ، وأخذ على أيدى الظالمين ، كانت تلك
صدقات ، وكانت هذه منائع ، تقيل المتعثر من هتاره ، وتكفل النجاة من هذه
الاحداث .

وصدق رسول الله ، كل معروف صدقة ، فليست الصدقة قاصرة على بذل
المال ، بل الصدقة مال وجاء ، والصدقة حب وعطف ، والصدقة تزاور وتآلف ،
والصدقة عدل ونصف ، والصدقة كف عن الأذى ، ورد عن الشر .

روى البخارى ومسلم عن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال :

« على كل مسلم صدقة ، قيل أرأيت إن لم يجد ، قال يعمل بيديه فينفع نفسه
ويتصدق ، قال : أرأيت إن لم يستطع ، قال : يعين ذا الحاجة الملهوف . قال :
قيل له أرأيت إن لم يستطع قال : يأمر بالمعروف أو الخير ، قال : أرأيت
إن لم يفعل ، قال يمسك عن الشر فإنها صدقة . »

فها هو ذا : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد اعتبر كلا من هذه
الاعمال صدقة .

وما دام كل معروف صدقة ، فالمتصدقون هم أهل المعروف ، هم الذين
استجابوا لدعوة الحق ، واستطابوا محبة الخلق ، عرفهم الناس في الدنيا أبرارا
أخيارا ، يصلون فلا يقطعون ، ويذلون فلا يمسكون ، ويواسون فلا يتبرمون ،
وهؤلاء هم أهل المعروف في الآخرة ، يشهدهم المخلوقون وهم في رحمة من الله
ورضوان ، جزاء ما عملوا ، وكفاه ما بذلوا . وما تفعلوا من خير فلن
تكفروه . ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة ،
ولنجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون . .

صنائع المعروف

٦١٣

أما أهل المنكر في الدنيا ، أما الذين أظلمت نفوسهم ، وقست قلوبهم ،
وعبست أساريرهم ، وساءت أفعالهم وأقوالهم ، فبدلوا من الوصلة قطيعة ، ومن
البر فجورا ، وأحالوا الوفاء نقضا ، والولاء بغضا ؛

أما هؤلاء الذين ولغوا في الأموال ، فلم يشبعهم حرام ولا حلال ، والذين
ذهبوا في الأعراض ، فلم تقدمهم فضيحة ولا نكال ، أما الذين أنكرتهم الدنيا ،
لأنهم تنكروا لأهلها بالبغي والعدوان ، والطمع والجشع ، فهم أهل المنكر
في الآخرة ، لا يجردون من المال إلا حرمانا ، ولا من القوة إلا هوانا ، ولا
من الأمن إلا ذعرا ، ولا من الأمل إلا خيرا ، ونحشره يوم القيامة أعى ،
قال رب لم حشرتني أعى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ،
وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب
الآخرة أشد وأبقى .



ثم يختم الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، قوله بأعظم بشرى يتلقاها
الناس ، بأن أول من يدخل الجنة أهل المعروف ، يتمتعون فيها بذلك
النعم الدائم الذي لا ينقضي ، وبهذه الألوان من التكريم الذي يلقونه بين يدي
ربهم ، في جنة عرضها السموات والأرض ، يحملون فيها من أساور من ذهب ،
ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق ، متكئين فيها على الآرائك نعم الثواب
وحسنت مرتفقا .

وبعد :

فهذه صفات أهل البر ، لمن شاء أن يحذيقها ، وتلك ثمار الخير لمن رغب أن
يحظيها ؛ فإنها جمال الدنيا وعزة الآخرة .

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

إذا أعجبتك خصال امرئ فكأنه يكن منك ما يعجبك

فليس على الفضل والمكرمات إذا رُميت حاجب يعجبك

الأدب الديني

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ ابراهيم أبو الخشب
المدرس بكلية الشريعة

خطر بذهني هذا العنوان ووددت أن أكتب فيه كله ، وقد ترددت بادئ ذي بدء ؛ لأن الأدب هو الأدب في كل شريعة ومنهاج ، وأسلوب وتفكير ، ولون وتصوير ، فلا يمتاز الدين بطابع من الكتابة على غيره من أنواع السلوك أو الأخلاق .

ولا يعدو الأدب أن يكون ديباجة طلية ، وبيانا سرييا ، والفاظا مختارة ، وجملا مناسكة ، وليس لمتعشق للقراءة ، راغب في الاستفادة ، متعطش إلى الفهم والتحصيل ، أن يقول هذا شعر يعالج عقيدة ، أو ينتصر لمذهب ، أو يدهو إلى غاية .

وإذا كان هجاء ابن الرومي وحماد وبشار والمنتبي لم يمنع القارئ أن يتناقله ، ويقف على أطلال حسنه ، ورسوم جماله ؛ فإن المتأدب يجب عليه أن ينشد الأدب في كل دين وملة ، وعلم وفن ، وكتاب وكتاب ، وزمان ومكان ، وجيل وقبيل .

وهكذا قضية المنطق ، ودعوى الحقيقة ، ودين أصحاب ما يجب أن يكون ، وقد عرف عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يحب هذا النوع من الأدب ، ويرغب فيه ، ويثيب أصحابه عليه ، وإذا لم يكن الشعر يبحث على فضيلة من الفضائل ، ويُغْنِض في رذيلة من الرذائل ، نفر منه ، ولوى أذنيه عنه ، وكان يطارد الهجائين ويتوعدهم ، وينذرهم بالويل والثبور ، إذا لم يكونوا سدا وسلاما على الناس ، وربما كان النبي صلى الله عليه وسلم — كذلك — من أصحاب هذا المذهب فيما كان يستنشد عائشة رضي الله عنها ، وفي قوله : إن أصدق كلمة قالها شاعر ، كلمة لبيد : لا أكل شيء ما خلا الله باطل .

إلا أن القوم ذأبوا على أن يفروا من ، الأدب الديني ، كما يفرون من الدين نفسه ، كأنه رجمية وجهود ، وتأخر وانحطاط ، ولا يمتنى بهذا الطابع من الأدب إلا الذين يرتزقون من التواشيع ، يغنون بها في الأذكار ، أو البردة والهمزية يتبركون بها عقب الصلوات ، وفي ساعات التجلي ، حيث تطيب الخلوة ، ويحسن الانفراد ، ويلذ للسكود الوحدة والانقطاع ، وعلى ذلك فإنه يجب أطراح قصائد الكميث بن زيد الأسدي في آل البيت ، ونبد ما كان يسميه بعض أسلافنا الأزهرين ، فن المديح ، من تلك الروائع النبوية التي كانت ذوباً من العاطفة ، وصوباً من الإحساس ، وفيضاً من الشعور ، ونوراً من الإيمان ، والتي بلغ من العناية بدراستها ، والاحتفال بشرحها أن كانوا يعتقدون لها الحلق ، ويتخيرون لها الأوقات ، ويهشون للاجتماع لها ، ويفرحون بالاستاذ الذي يجلجل صوته ببيانها والكشف عن غامضها .

وكانت هي البقية الباقية من الأدب في الأزهر ؛ بل كانت هي المشرق الذي منه تطلع الشمس ، والافق الذي عنه ينجلي الضياء ، استطاعت أن ترينا خولا في البلاغة ، وأساطين في الشعر ، وجهاذة في صياغة الألفاظ ، وتميق الجمل .

والتراجم التي بين أيدينا لأعلام النهضة الفكرية في العصر الأخير بعد اعتداء التتار ، وسقوط الخلافة ، للذين نهلوا من هذا المعين ، وساروا على هذا الدرب ، ولو ظلت العناية بهذه القصائد كما كانت ، والاهتمام بها على هذا الوجه ، يضيفها الطلاب إلى مجموع المتون ، هي غرار أسلافهم ، وطريقه أشياخهم ؛ لظلوا حملة اللواء ، ولكن فلسفة الجهل ، وغطرسة التخبط ، وعماية الضلال ، وحى التجديد ، حينما سرت عدواها إلى صفوفهم ، وتغلغلت جرائمها في دماهم ، بغضت إليهم كل قديم ، وشوهت في نظرهم كل عتيق ؛ فتمردوا على التاريخ ، وتناولوا على الماضي ، ونجاؤوا ما يهلمهم بالجدود ، وينسبهم إلى الأسلاف ، حتى الأدب مادام من هذا الطراز ، وعلى هذه الوثيرة ، ولا أعلم فيما أعلم سببا لهذا البغض ؛ ودافعا لهذه الكراهية ، يتجاوز تلك المعاني ، مع أن أصدق مثال لهذا الأدب الذي

يتصلون منه ، ويقطعون أسبابهم عنه ، ويباعدون ما بينهم ، والقرآن ، وهو الكتاب الذى أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ؛ سجد له العرب بعد ما تحذوه فمعجزوا ، وعارضوه فلم يستطيعوا ، وجروا فى مضماره فمكبروا ، وهم سادة البلاغة ، وملوك اللسان ، ودهاقين المنطق ، وصيارفة القول .

وشوقى وهو إمام المعاصرين ، وسيد المجددين ، لم يسجل اسمه فى الخالدين ، ويعمل شأنه فى السابقين ، أكثر من تلك الناحية فى شعره التى ينتصر فيها للعقيدة ، ويدافع عن الحق ، ويؤيد الواجب .

ولإذا صح ما يقوله بعض الناس ، من أن الأدب هو التصوير الجميل للمعاني الرائعة ، فإن فى الدين خلافا كريما ، وبجايافاضلة ، ومزايافجيدة ، وساوكمأفنبلا ، وتشريعا حكما ، كثيرا ما نجد فى دقة تصويرها ، وحسن التعبير عما ما يسمو بالأدب إلى أبعد آفاقه ، وأوسع حدوده ، وأجل معانيه . . . ولقد كنت منذ حين أبالغ فى إعجابى بقول الثابتة بعذر اللهمان : « فإنك كالليل الذى هو مدركى ، حتى تذوقت قول الله جل جلاله « وأحاطت به خطيبته ، فأيقنت أن ذلك هو السحر البابلى ، والديباج الحسروانى ، وأن ما عداه فضول ، وقول مفضول ؛ على أن الأجانب الذين ينقلون عنهم ، ويترسمون خطاهم ، يجدون « أدب المكينة » ، ويحلونه من نفوسهم فى مكان الإعزاز والاحترام ، والقداسة والتعظيم ، ويمتدحون أنه غنى بالخيال ، خصب بالتفكير ، يتدارسونه ويتناقشونه ، ويؤدبون به أبناءهم وبناتهم ، كأنه وحى من السماء يلتفون حوله ، ويعتمدون على مائدته ، فل يصيخ الناشئون إلى هذا الرجاء ، فيعودوا إلى الامتناع من ذلك النبع الصافى ، والمورد العذب ، تاركين وراء ظهورهم ما يقول الملاحدة من أن الأدب الدينى ، أدب يدهو إلى الجلود ، ويحمل على الرجعية ، ويسوق إلى حصر الجمال فى أضيق صوره ، وأحقر الروايف ، خصوصا هؤلاء الذين يمدحون أنفسهم للزود عن الدين ، والدفاع عن حوزته ، فإنهم أمس به ، وأحوج إليه ، وأولى من غيرهم أن يحملوا رسالته .

أعلام الأزهر

المنفلوطي

١٨٧٦ - ١٩٢٤ م

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد كامل الفقي
المدرس بكلية اللغة العربية

نشأته وحياته :

السيد مصطفى لطفي ، بن محمد المنفلوطي ، ولد في سنة (١٨٧٦ م) بمدينة
منفلوط ، وإليها ينسب ، وقد انحدر من أسرة عريضة ، عرفت بالوجاهة
والحسب ، وتوارثت القضاء الشرعي وكتابة الصوفية زهاء مائتي عام ، أما أبوه
فعربي واضح النسب يمتد إلى الحسين بن علي ، رضى الله عنها ، وأما أمه فهي
وثيقة القرابة بأسرة الجورجي ، التركية الصنارية في الشرف والمجد .

حفظ القرآن بالمكثب ، ثم اتجه إلى الأزهر فتلقى علومه به ، وكان معروفاً
بين أقرانه بحدة الذكاء ، وسلامة الذوق ، وصفاء الفكر ، وقد نزع إلى طريقة
ارتقاء لنفسه غير الطريقة التي درج عليها أبناء الأزهر ، فكان يطالع الدروس
على طريقة يخلص منها إلى تحرير الفكرة ، وتحديد الجوهر ، غير مهال بما يترضه من
جدل ونزاع لفظي ، وأكب في صباه على كتب الأدب يغذي هواه ، ويروي فطرته ،
فقد نشأ شغوفاً بالأدب مفلطراً على التقليب في آثاره ، والتروى من روائعه
ومحاسنه ، ودرس فيما درس طائفة من كتب الطيعة والحكمة والأخلاق ،
وأقبل على الأشعار يحفظها والشوارد يتصيدنها ، ونظم الشعر ، وحرر الرسائل .
وذاع صيته بين الناس ، وبين الأزهرين خاصة ، فقربه الإمام المرحوم الشيخ
محمد عبده ، ووجد في ظلاله التوجيه السافع ، والهدى الموفق ، وما لبث المنفلوطي ،
أن اتسع له صدر الإمام فلازمه وصاحبه ، وتردد على درسه وغشى منزله ،

ودامس هذه الصلة الوثيقة عشر سنين ، كانت « المنفلوطى » غذاء لروحه ، وتوجيهاً لفكره ، وتعبيداً لطريق حياته ، وأثمرت صلته بالإمام معرفته بالمرحوم « سعد زغلول باشا » فمش له ، وقدر مواهبه ، وتفطن لما شب عليه من صفاء القريحة ، وسلاسة الأسلوب ، فقر به ورعاه .

وقد بلغ من حب « المنفلوطى » للإمام وتعلقه به أنه انتبذ مكاناً قصياً الى أهله « بمنفلوط » حين استأثر الله بالإمام وأظلمت الدنيا في بحياه ، وأبنأس حين أوحشت حياته من لقائه .

ثم بدد عزله الثانية التى بكى فيها أستاذه وموجه « الشيخ محمد عبده » فراسل « المؤيد » برسائله الممتعة التى طالما أثلج الناس إليها أعناقهم ، واستشرفوا للقائها ، وتزاحوا على ورودها .

وقد كانت ترد إليه رسائل من أقاصى البلدان تسأله أن يعالج موضوعاً ، أو يحلّى حادثاً ، أو يعلق على أمر ذى بال ، والناس لمطلعها مشوقون .

وقد تأثر « المنفلوطى » بالشيخ « محمد عبده » فطبع بطابعه ، ونهل من شعوره ، وانصرف منهرفة في معالجة الشؤون وتناول الإصلاح الوطنى والخلق والاجتماعى .

« ويتجلى تأثيره به فى الحملة التى شن غارتها على المفاسد التى دخلت على الإسلام ، وفى دعوته إلى الإصلاح ، تلك الدعوة التى اصطبغت بالصيغة التى نجدتها فى كثير من كتابات الشيخ محمد عبده (١) . »

وقد نسب اليه فى أثناء طلبه العلم بالأزهر أنه هجى الخديو السابق بقصيدة نشرتها إحدى الصحف الأسبوعية لحكم عليه بالسجن ، وقضى به مدة عقوبته ، ثم شفع له بعض المقربين لدى الخديو فعفا عنه ، ويرى بعض الأدباء أن القصيدة من عمل غيره ونسبت له .

ولما ولى « سعد باشا » نظارة المعارف عينه محرراً عربياً لها ، فأصلح من أسلوب الكتابة بها ، وأشرف على لغة الكتبة وتعمدهم بالرعاية والإرشاد ، حتى إذا

ما حول د سعد ، إلى نظارة الحفائية استصعبه معه لمثل هذا العمل ، فكان له فضل عظيم في ترقية الكتابة وتقديم لغتها ، وتخلصها من الركة والمعجمة والضمف بقدر ما وسعته الجهود ، وبعد عامين فصل من هذا العمل .

ولما انعقد البرلمان ، عين د كاتم سره ، ، وكان القدر قد أراد أن تنطفئ شعلته ، فمضى إلى ربه في العقد الخامس من عمره عام ١٩٢٤ م

وكان رحمه الله على النفس ، عزيزاً متوفراً ، يخافى صفائر الأمور ، ولا يتعلق إلا بجلال الأعمال ، نزاعاً إلى الحرية . عيوافاً عن كل ما يدنس صفحته ، كريم الخلق ، طيب السريرة ، في تواضع جم ، وكرم نفاح .
وقد عاش طول حياته لم يلوث يده بأجر على ما كان يكتبه ، على جلالة شأنه ، ونباهة ذكره ، وما يهبه من الرفعة وعلو المكانة لمن يحظى بقلبه مؤيداً ومعاخداً .

وقد اجتمعت عليه عداوات ، وأرثت أحقاد ، من طول ما لقيه من الشهرة بأدبه ، وبعد الحديث بقلبه وتألقت عليه الأقلام تنوشه وتنهشه حقداً وموجدة ، وهو ثابت كالطود ، موفور الحلم والأناة ، واسع العفو والإغضاء ، فكان كما قال :

إذا ما سفيه نالني منه نائل من الذم لم يخرج بموقفه صدرى
أعود إلى نفسي فإن كان صادقا عتبت على نفسي وأصلحت من أمرى
وإلا فما ذنبي إلى الناس أن طغى هواها فارتضى بخير ولا شتر
وقد صور المرحوم د أحمد شوقي بك ، أمير الشعراء خصومة حساده ، وكلفهم بتبعية ، وأنصف حلمه وسعة صدره وعفوه عن خصومه اللد ، فقال في رثائه له :

سكن الأحبة والعدا ، وفرغت من
كم غارة شتموا عليك دفعتمها
والجهد مؤت في الحياة ثماره
فاذا مضى الجليل المراض صدوره
فانزع إلى الزمن الحكيم فعنده
حقداً الخصوم ومن هوى الاشياح
تصل الجهود فككن خير دفاع
والجهد بعد الموت غير مضاع
وأقى السليم جوانب الاضلاع
نقد تنزه عن هوى ونزاع

أدب المنفلوطي :

لقد كان الأدب ، بالمنفلوطي ، حياة جديدة ، ونهيات له بقلبه جدة وروعة ، فأينع وانتمش ، كان رشيق القلم ، غذب الببان ، نصيح التعبير ، مشرق الديباجة ، محكم الرصف ، متين النسيج ، وكان مرهف الحس ، دقيق التفطن لمواطن البلاغة ، طروباً للتعبير الفخم ، والتركيب المنسجم ، يحتفل بأسلوبه ، ويجود في صياغته ، وإذا هبطت عليه سجمة فذاك ، وإلا لم يتكلف طلبها ولم يتعمل ، (١) .

وإذا جاز أن يكون الأدب العربي المعاصر قبل ، المنفلوطي ، دائرة على اللفظ ، يغفل الفكرة فلا يتوضاها ، ويغضى عن المعنى فلا ينفذ إلى روائعه ، فإن ، المنفلوطي ، كان أحد أولئك الأدباء القلائل ، الذين أدخلوا المعنى والقصد في الإنشاء العربي ، بعد أن ذهب منه كل معنى ، وضل به الكتاتيون عن كل قصد ، (٢) . وقد حدث عنه المستعرب ، أغناطيوس ، فيما قاله عن الأدب العربي الحديث ورجاله ، فقال : « امتاز مصطفى الخني المنفلوطي ، وهو أصغر تلاميذ الشيخ عبده سناً ، بما بذله من الجهود الموفقة ، لابتكار أسلوب جديد شائق ، ويمكننا أن نقول : إنه نجح نجاحاً كبيراً عن جدارة واستحقاق ، (٣) .

وكان ، المنفلوطي ، صاحب طريقة في الأدب ، وذا مكان ملحوظ فيه ، ولقد بهر الناس أدبه ، وقتلهم روعته وجذبهم طريقته السهلة المشرقة المتدفقة ، حتى كان محفوظ التلاميذ ، مرقوب المتأدبين ، وكان بحيث لو لم يذكره المنفلوطي ، مع ما يكتبه ، لنمَّ أسلوبه عنه ، وهدى إشرافه إليه .

ومن أهم ما يستر له هذه المكانة ، بعد روائع أسلوبه الذاتية ، بروز شخصيته فيما يكتب ويصور ، حتى قال له المرحوم د سعد زغلول باشا : « إني لأرى لك في كتابتك شخصية أتني أن أجدها كثيراً في أقلام الكتاتين . »

وكان رفيع الأدب في كل ما يكتب ، فلم يسف في مقال ، ولم يتدل في موضوع ، بل كان ، الكاتب الفريد الذي يحافظ على أسلوبه في جميع حالاته وشئونه ، سواء في ذلك المعاني المطروقة لكتابات العربية الأولى . أو التي لم

(١) انفصل ١ ص ٢٨٨ (٢) مراجعات العناد ص ٢٧

(٣) ترجم الأستاذ أمين حسونة النواوي هذا البحث في مجلة الرسالة ص ٨٦ ، السنة الرابعة

يكتبوا عنها شيئاً، ولم يرسموا لها أسلوباً، مما يدل على أن السليقة العربية ملكة من ملكاته : لا عارية من عواريه ، (١) .

ولم يكن مفتوناً بالصنعة ، متهاوناً على تجويد الأسلوب ، بل كان طبعه يغلب صناعته ، ولم تكن الصنعة لتخلق أديباً ، كالمنفلوطي ، في نباهة شأنه ، وروعة أدبه ، ولو رجحت الصنعة في أدبه لفضل في ثناياها الغرض ، وغمرت الفكرة ، وعزّ عليك أن تجد له هذه الأفكار الحية ، وتلك الموضوعات الاجتماعية التي ينهم فيها وينجد ، والتي عبر فيها عن خلجات النفوس ، وخفقات القلوب ، ومسارح الفكر والشعور ، وصور بها الآلام والاحزان صورة يرسم فيها الأسى ، حتى كان من أشد الأدباء تأثيراً بالأدب الغربي ، واصطبغاً بصبغته .

وأول ما بهر الناس من أدبه ، وفتنهم من جمال أسلوبه ، ما نشره من نظراته ، في صحيفة المؤيد ، سنة (١٩٠٨ م) فقد اهتزت لها القلوب والاسماع ، ورأى القراء الأدباء في هذا الفن الجديد ما لم يروا في فقرات الجاحظ وسجيمات البديع ، وما لا يزول في غثاء الصحافة وركاكذ الترجمة ، فأقبلوا عليها لإقبال المهيم على المورد الوحيد العذب (٢) .

هذه ، النظرات ، التي كان الأدباء يتشرفون إليها ، ويمدون لها أيام الأسبوع يوماً بعد يوم ، ويترقبون لرؤيتها ما يترب الضال في ظلمة الليل البهيم من الفجر الطالع ؛ والظامى في المهمة القفر ، من الغيث الهامع (٣) .

امتازت هذه المقالات بطابعها الأنيق ، ومعالجتها شتوياً مختلفة بأسلوب رشيق ، جمع بين الأدب العالي وإرضاء الذوق ، لأنها كتبت بلغة موسيقية صافية ، فكانت بمثابة الوحي يهبط على جمهور تعود قراءة أدب الكلفة والتصنع ، وقد انتشرت انتشاراً واسعاً بين قراء العربية من بغداد إلى مراکش وهذا مما يدل على أنهم ألفوا فيها شيئاً قيمياً ، كما كانت تمثل الشعور الذي تردد صداه في العالم الإسلامي أبلغ تمثيل (٤) .

(١) أشهر مشاهير أدباء الشرق للسندوبي ج ٢ ص ١٨٦

(٢) أحمد حسن الزيات : من مقال له في « الرسالة » ، السنة الخامسة العدد ٢١٠

(٣) أشهر مشاهير أدباء الشرق للسندوبي ج ٢ ص ١٨١

(٤) من مقال لمحترب انجليزى في مجلة « إسلاميك كلتشر » ،

كان ، المنفلوطي ، رحمه الله رحيم الفؤاد ، رقيق العاطفة ، يهتز لكل مأساة ، ويبتئس لكل كارثة ، وتسيل عبراته على ما تقع عليه العين من شقوة أو بأساء ، ومن ثم كتب في البؤس والمأساة فباع مالم يبلغه أحد ، وصور ما يعتلج في الأفئدة من هموم وأحزان ، بقلم باك ، وبراعة دامية وقال فيه عارفوه ومن صاحبه : إنه لم يكتب إلا عن فيض شعوره وحسه ، وإن كتاباته صورة حقيقية لنفسه .

المنفلوطي القصصى :

ثم إن ، المنفلوطي ، تناول القصة فنهد لها في الأدب العربى طريقا ، ونسج لها في فنونه مكانا ، وبلغ بها منزلة سامقة ، وذلك لأنه ، كان يستعين بإخوانه من يعرف لغة أجنبية فيستوحيه معاني القصة فإذا ما استعرت في نفسه صاغها بعبارة الساحرة ، وزانها بمقالبه الجميل ^(١) .

ولم يكن يتقيد إذ ذاك بعبارات المؤلف ومعانيه .

ولهذه الطريقة حسنات أهمها أنها تمكن الناقل من إظهار ما لديه من شخصية ومقدرة وعبقرية ؛ ولما كتبت من الجهة الأخرى ، تخطى الغرض الاصل إذا كان الغرض نقل الأثر الغربى الى اللغة العربية ، ^(٢) فالقصص التى ينقلها المنفلوطي بهذه المثابة قد تبعد عن الاصل في ترجمتها ، أما إذا اعتبرت من وضعه على أنه استعان بواضعها الغربى فهمى من جهده الذى يفاخر به .

وأيا ما كان فقد كانت القصص والروايات التى تناولها ، المنفلوطي ، مرآة تنطج عليها العيوب والمآسى الخلقية والاجتماعية بأسلوب مؤثر وعبرة فصيحة ، وإذا كنا لا نستطيع أن نقول : إن ، المنفلوطي ، في عصره كان أبرع القصاص وأنبع الروائيين ، فإنه لا ريب من خير من عبر هذه الطريق ، ومن طلائع الذين أودعوها خيال الغرب ، وذلك لا يعفيه من ضعف الاداة والتحرير في التعبير أحيانا .

[يتبع]

(١) مذكرة المرحوم الأستاذ محمود مصطفى في الأدب الأندلسى والمعاصر وما بينهما ص ٢٤٩ .

(٢) مجلة الهلال العدد الصادر في ١٢ من شعبان سنة ١٣٢٨ هـ أول مايو سنة ١٩٢٠ م .

اللسان

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد المسلول
المدرس بكلية اللغة العربية

لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه
ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه
حديث شريف

وسيلة الحكم على إنسان وتعرف ما يتطوى عليه من خير أو شر ، وما يحوى من صلاح أو فساد إنما تتأتى من منطقته وتنهياً من لسانه .

فقدرة القلب أو ضعفه ، وسداد الرأى أو خطئه ، وعمق التفكير أو ضحوقه ، ووثوق العزم أو تفككه ، وصدق الإيمان أو كذبه ؛ كل ذلك مخبوء وراء أحجية لا يمتسكها إلا اللسان ، ولا يكشف سرها ويذيع خبرها سوى المنطق والبيان .

فاللسان أداة التمييز عن النفس ، وترجمان خيرها وشرها وتقواها وفجورها ، وهادها وضلالتها ، وصلاحها وفسادها ؛ لذلك كان حسن اللسان عنوان قوة الإيمان وطهارة الجنان ، ورفعة الوجدان ، وكان اعتدال المنطق وصدقه وإخلاصه دليل صفاء القلب ، وتقاء الضمير وحسن التفكير .

ولا يتعقد المنطق إلا من تعقد النفس وظلمة القلب وفساد النية وخبيث الطوية ، ولا يسوء اللسان إلا من سوء الخلق واعتلال الطبع وطغيان الفساد الداخلى على ظاهر الأعضاء .

عناية الإسلام بتقويم اللسان وتهذيبه : هى عنايته بحفظ كيان الإنسان وإسعاده وإصلاح دينه وآخرته ؛ فالمرء بأصغرية قلبه ولسانه ؛ إذا صلح القلب صلح الجسم كله ، وإذا استقام اللسان استقامت أمور الحياة جميعا . ولا يمكن أن تحسن علاقة المرء بأخيه ، ولا أن يعظم ارتباطه بالناس إلا حين يكفهم شر قوله ، وسوء خلقه وزلات لسانه ، ولا تولد الأحقاد والأضغان بين

الناس ، ولا تشب العداوات وتأصل الخصومات بينهم إلا حين يفقدون السيطرة على ألسنتهم ، والقدرة على أعصابهم ، ولا يملكون ضبط ما يصدر عنهم . من قول ، أو يتحدث منهم من حديث ، ولقد صدق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حين قال : « ومن يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم » .

فالحكمة ينطق بها الإنسان من غير وعي ولا تدبر : ربما اكتسبته شقاء وأورثته تعباً وحناء ، وجرت عليه الأحقاد والأضغان ، وخلقت له في نفوس الناس صورة مجللة بالبغض والكراهة ، وقد بما قالوا : إن البلاء موكل بالمنطق . ومن يثير الفتن ، ويهيج العداوات بين الناس إلا حصائد اللسان وزلاته ، وسوء المنطق وآفاته ، فكم من كلمة بدت من المرء عفواً ، فإذا بها تولد العداوات الفاجرة ، والخصومات الغادرة ، والأحقاد الثائرة ، وتشب المهاترات وتثير المنازعات . ولو خلاصت من جفوة الخطاب وسلبت من خشونة القول : لما أثار هذه الفتن الغاشمة ، وبعثت تلك الثورات الطاغية الظالمة .

ومن هنا نظر الإسلام إلى الذي ساء لسانه نظرة مزرية مهينة ، وعده من أهل النار ، وإن صلى وصام وتعبد وتهجد ، وقام قائماً بالعشى والاسحار ، قيل : يا رسول الله إن فلانة تقوم الليل ، وتصوم النهار ولكنها سيئة الخلق ، تؤذى جيرانها بلسانها . فقال صلى الله عليه وسلم : لا خير فيها ، هي من أهل النار .

أيفهم هؤلاء الذين لا يزفون منطقاً يصدر عنهم بميزان الحكمة والعقل ، ولا يحملون حديثاً يصدر منهم بحلية الأدب وجمال الصدق ، أن منطق الدين يعقبتهم أشد المقت ، وأوضاع الحياة ، ومجامع الناس وهمساب القلوب ، وخلجات النفوس تزدرهم أقبح ازدراء . والرجل الذي يخف عليه لسانه ويفلت من يده زمامه : فيخوض في كل عرض ، ويلغ في كل حرمة ، وينشر على الملأ ما خفي من أمور الناس ، وما استكن من أحوالهم ، لا بد أن ينضب ما عنده من حياء ، وينفذ ما فيه من إنسانية ، ويفقد ما لديه من كرامة ، ويتولد في نفسه استخفاف بالخلق واستهتار بالمجتمع ، وثورة على الأخلاق والآداب : فلا يتقيد بوعده ، ولا يتمسك بعهده ، ولا يحفل بما يقدفه لسانه من كلام ، يقول ويؤكد ، ويعزم ويتسمم ، ويعلم بلسانه حتى يظن الناس أن هذا القول الموثق لا ينقض ، وذلك الكلام الجازم لا يحل : حتى إذا حان وقت الجدد وآن أوان العمل ، رأينا كيف تستحيل النار المشتعلة

إلى رماد ، وينقلب الحواس المندفع إلى فتور وتراجع ، ويتغير الأقدام السريع إلى إدبار شنيع ونكوص ذريع ، وذهبتنا فتعسس قوله الجازم ونرى أين مكانه : فإذا هو أصوات جوفاء ذهبت مع الريح في كل مذهب ، ولم يبق لها حتى في نفسه مكان ولا أثر .

كل ذلك من ضعف الإيمان ، وتحال الاخلاق وهوان الدين على النفوس ، ونزول قيم الرجولة نزولا خيسا .

والله تعالى مقت هذه الخلة ونعى على أصحابها ، وأزرى بعينهم فقال جل شأنه : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ، وما شوه جمال الحياة ، وكدر صفو العلائق ، ومزق الروابط وهتك أواصر المودة ، وقطع وشائج الألفة والأخاء ، إلا هؤلاء الذين تتملكم شهواتهم ، وتستبد بهم نزواتهم ، وتطغى عليهم فلتات السننهم وشروخ منطقهم : فزى قولهم دائما يسبق تفكيرهم ، وخطوهم يتقدم تقديرهم ، وهذرهم أكثر من جدتهم ، وخطأهم أضعاف إصابتهم ، ومع ذلك فهم سيادرون في غيهم ، متبادون في عمايتهم لا يدعون أدعيا إلا مزقوه ، ولا عرضا إلا شوهوه ، ولا حرمة إلا هتكوها دون تخرج ولا رقابة لضمير ولو أصاب هؤلاء حظا من الإدراك ونصييا من التعقل : لعلموا أنهم أبعد الناس عن رحمة رب العالمين ، وأناهم عن محبة خاتم النبيين الذي يقول صلى الله عليه وسلم : « إلا أخبركم بأبغضكم إلي ، وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة : الثرثارون المتفيهقون ،

وهذا عقبة بن عامر يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النجاة : فيجيبه بكلمة تبدل ظلام الحياة نوراً وحكمة : إذ يقول : « أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وأبك على خطيئتك ، وفي الحديث الشريف : إن لسان المؤمن وراء قلبه ، فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه ، وإن لسان المنافق أمام قلبه : فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه ، ولم يتدبره بقلبه . هناك أنماط أخرى من الناس مروا على نوع من المنطق معسول ، وتعودوا على لون من الكلام خادع ، وإذا رأيتم تعجبك أجسامهم ، وإن يقولوا تسمع لقولهم ، حديثهم جذاب ، وكلامهم سائح خلاب ، وظاهرهم لا مع براق ، ووراء ذلك قلوب قاسية لا تعرف الخشبة ،

ولا المراقبة، ونفوس عاتية لا تداخلها الرحمة ونيات خبيثة، ضربت عليها الغلظة، وصاحبها المكر والخداع والختل، ومازجها التعقد والالتواء، ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا، ويشهد الله على ما في قلبه، وهو الدخيل، وإذا قولى سمى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد .

وما أفسد الأوضاع وبذل النظام فوضى، والعدل جوراً، وأحل الخصام محل السلام، وقتل الكفاية إلا ما تعتاده بعض الألسنة من ألوان الملق، وأنواع الرياء، وقدرتها على إضمار البغض وإظهار الحب، ونسج حلال الثناء بما يخترعه الوهم ويزينه الخيال، ويفترضه العقول بما يسمعون، فيظنون به الصدق، ويتوهمون فيه الإخلاص؛ حتى تكشف لهم الأيام وتسفر الأحداث عما كان يستقر فى أطواء النفوس من خداع، ويمكن فى أعماق القلوب من نفاق ورياء .

ومن الناس من صغرت هممتهم، وضعفت عزيمتهم، وقعدت بهم الأسباب، وتخلفت عنهم القدرة؛ فتعلقوا بحبال رئيس، أو حطوا رحالهم على جاه عظيم، ثم حاولوا بعد ذلك أن يتملقوا رغبته ويسايروا هواه، فتراموا دائماً أسرع إلى إشارته وأقرب إلى نظراته، وأشد تطوعاً بالوقعة، وأكش تبرعاً بالدسيعة، يزينون القبيح ويحسنون السكينة، ويقبحون كل نافع، ويحقرون كل عظيم، ويصفرون كل جليل. لا يقدمهم خلق ولا يزهم دين، ولا يكفهم عن هذا العبث والصغار ضمير، وكما كابد الناس من هذه المآسى، وقاسوا من تلك المخازى، وشربوا من مرها ما ألم النفوس وأدى القلوب؛ مع أنه لا يحمل إنسان هذا الخلق، ولا يتسم أحد بهذه الخلائق إلا شانه الله، وأظهر شأنه وفضحه بين الناس، وجعله بينهم هبة ومثلة، وإن طال الأمد بغشه وخداعه .

ألا ليت شعري هل يفهم هؤلاء الخادعون الغاشون أنهم يسيئون إلى أنفسهم، وإلى الناس جميعاً أشنع الإساءة؟ والا يعلمون أن اللسان إذا اعتاد سوءه، وألف المنكر، وصرن على الإباحة والتحلل؛ اندفع فى كل تيار وجرى فى كل مجال، وألف أشد الألفة أن يستغل كل سر مكشوف، ويفسر كل خبر مدفون؛ بل أصبح فضيحة متقلة، يكشف العورات ويذيع السوءات، ويبتكر عن الناس من المساوئ ما يجعله مادة للحديث، وأداة للهو والتسلية من غير إبقاء على دين ولا احترام للخلق، ورحم

الله أبا بكر الصديق ورضي عنه : فإنه مع شدة يقينه وقوة إيمانه الذي لو وزن بإيمان الأمة لرجعه ، كان يمسك بلسانه ويقول : هذا أوردني الموارد . وكان الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم : معلم الأمة ونبي الرحمة يقول : لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ، وكان يقول : إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه . .

إن المؤمن سمح النفس ، صادق الحديث ، مهذب الكلام ، عذب اللسان ليس بفحاش ولا نمام ؛ يقول بعد أن يفكر وينطق بعد أن يتدبر ، لا يشارك في مالا يعنيه ، ولا يدخل في مالا يهمه ؛ فإذا حسن إيمان العبد حسن لسانه ، وتهذب خلقه ، ولأن منطقته ، وطالع الناس بما يحبه له الإسلام من صدق القول ، وعفة المنطق ولين الكلام . نسأل الله العصمة من أغلاط اللسان والسلامة من آفات الكلام .



قريش

قريش هي القبيلة العربية الماجدة التي اختار الله أن يجعل منها خاتم رسله محمدآ صلى الله عليه وسلم ، قال الجاحظ إمام البلاغة يصفها :

قد علم الناس كيف كان كرم قريش وسخاؤها ، وكيف عقولها ودهاؤها ، وكيف رأيها وذاكاؤها ، وكيف سياستها وتدبيرها ، وكيف إيجازها وتجبيرها ؛ وكيف رجاحة أحلامها إذا خف الخليم ، وحدة أذهانها إذا كل الحديد ، وكيف صبرها عند اللقاء ، وثباتها في اللأواء ، وكيف وفاؤها إذا استحسن الغدر ، وكيف جودها إذا أحب المال ، وكيف ذكرها لأحاديث غد ، وقلة صدورها عن جهة القصد ، وكيف إقرارها بالحق وصبرها عليه ، وكيف وصفها له ودعاؤها إليه ، وكيف سماحة أخلاقها وصونها لأعراقها ، وكيف وصلوا قديمهم بحديثهم ، وطريفهم بتأنيدهم ، وكيف أشبه علانيتهم سرهم ، وقولهم فعلهم ، وهل سلامة صدر أحدهم إلا على قدرة بعد غدده ، وهل غفلته إلا في وزن صدق ظنه ، وهل ظنه إلا كيقين غيره ؟

أطراف من الأندلس :

الطبيعة في شعر ابن زيدون

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ حسن جاد
المدرس بكلية اللغة العربية

لا شك في أن الشعراء الأندلسيين كانوا أفصح اللسان التي هتفت بالطبيعة ، وأعذب الأوتار التي رجعت عن شذوها ، وأشجى البلابل التي شدت بمفاتها ومجالها ، وتغنت على رباعها ومغانها . ولا بدع فالأندلس عروس البلاد ، وفتنة الوجود ، وأغنية الزمان . والطبيعة ترسل النسيمات أنفاساً موسيقية تؤخذ شعراً ، وتلفظ ألحاناً . طبيعة ، هي الشعر فلو لم تجد من تلمحه النطق بها لكانت أفصح من الشعراء . ففي رباعها المشرفة ، ووديانها المنبسطة ، وأنهارها الدافقة ، ومغانها الباسمة ، وخمائلها الجميلة ، وأدواحيها الظليلة ، وفي رفيف المروج كالأهداب على عيونها العذاب ، والنفاث أنهارها كالأساور على معاصم الهضاب ، في كل ذلك ، وفي بعض ذلك ما يفتح مغالق النفس ، ويوقظ غوافي الحس ، ويلهم الشعر ، ويخلق الخيال .

بيد أن شعراء الطبيعة في الأندلس إوغيرها يختلفون في إحساسهم بها ، ويتباينون في تصوّرهم لها ، وتصويرهم لمباهجها ومفاتها ، وليس كل شاعر بالطبيعة خافقاً أن يمد من شعرائها ، ومن ثم قل في الشعراء من هو جدير بلقب شاعر الطبيعة ، على كثرة الشعراء الذين تغنوا بها . فنحن نقرأ قول ابن سهل الإسرائيلي :

أنظر إلى لون الأصيل كأنه لا شك، لون مودع لفراق
وقوله :

الأرض قد لبست رداء أخضرا والطل ينثر في رباهها جوهرها
هاجت ، نفلت الزهر كافورا بها وحسبت فيها النهر مسكا أذفرا
والنهر ما بين الرياض تخاله سيفنا تعلق في نجاد أخضرا
ونقرأ قول ابن عمار :

والروض كالحناء كساه زهره وشيا، وقلده نداء جوهرها
وقول ابن خفاجة :

وأراكة ضربت سماء فوقنا تندى وأفلاك الكؤوس تدار
وكانها وكان جدول مائها حشفاء شد بخصرها زنار

ف نجد كلا منهم قد فتن بمظاهر الطبيعة ، وأخذ بأحمرها وأبيضها وأصفرها
وأخضرها ، وهو لا يعدو أن يصف من الألوان والزرا كش ما قد يجد مثله
في ألوان الحلى ، ونقوش الطنائس والجدران : وكأنه ينظر إلى دمية فاتنة يروقه
وجها المشرق وحسنها المفاض ، ولا يفتش عما وراء ذلك من طوية وإحساس ،
ونحن نريد أن نتجاوز هذا الجمال الحسى ، وأن نفتش عن سر آخر في الطبيعة
وراء ألوانها الخرس وتوشها الصم ، نريد أن نتجاوز تشبيه اللون باللون ، والطعم
بالطعم ، والرائحة بالرائحة ، وأن نخلق في الطبيعة الحياة ، ونمنحها الحس والشعور
حتى تخاطبنا كما نخاطبها ، وتشعر بنا كما نشعر بها ، وتعطف علينا كما نعطف عليها .
ولقد نجد من بين الشعراء من يمنحها هذه الحياة وذلك الشعور ، كما يقول
ابن سهل :

والشمس تنظر نحوه مصفرة قد شمرت ذيل الوداع لتنهضا
فيعطى الشمس حياة الإنسان ، حتى إنها لتنظر وتشعر بالوداع ، فتشمر
ذيلها للنهوض ، وكما يقول ابن خفاجة في زهرة :

ومائسة تزهى وقد خلع الحيا عليها حلى حمرا وأردية خضرا

أو كما يقول :

والفجر ينظر من وراء غمامة عن مقلة كحلت بها زرقاء
والليل مشمط الذوائب كبرة خرف يدب على عصا الجوزاء .

ولكن هذه الحياة وإن كانت خطوة في سبيل السمو الذى نبتغيه ، ليست كل شيء . جميل أن نعد تشبيه حمرة الورد بالخد ، والزهر بالكافور ، والنهر المتعطف بالسوار الجامد ، إلى هذه الحياة التى تدب فى الشمس والفجر والليل ، ولكن لماذا لا تشعر الطبيعة بنا وقد رزقت هذه الحياة كما شعر ما نحن بها ؟ هذه هى الخطوة الأخيرة التى نهدف إليها .

إن ابن خفاجة ، وإن كان قد تخصص فى الطبيعة ، ووقف عليها نفسه من دون شعراء عصره ، لم يخط هذه الخطوة ، فقد كانت نظراته تقود عقله إلى مظاهر الطبيعة كما يقولون ، وكانت هذه المظاهر تروح وتغدو بين نظره وعقله لا تتجاوزهما ، فكل معلوماته وآرائه من طريق النظر والتأمل فى جمال الألوان ، وتناسق الأشياء . أما نفسه فما كانت تنفعل بشيء من هذه المناظر أو تتفاعل معه ، وليس أدل على هذا من أنه كان ينظر إلى الطبيعة من جانب واحد ، هو جانب البهجة والسرور ، فجاء شعره كله ضاحكاً مفرقاً فى الضحك ، مرحاً موغلاً فى المرح .

ولند يقال إنه صورة لحياته النفسية المملوءة بالهدوء والسرور والإعجاب بالجمال ، فنقول : هل سلمت حياته النفسية على الدوام بما يعلق بالنفوس عادة من الحب والبغض والحزن والألم ؟ ثم يبقى بعد هذا أنه لم يتفاعل مع الطبيعة على الصورة التى نريدها ، فهى لم تفرح لفرحه ، ولم تساجله البهجة والإعجاب .

أما الطبيعة التى تُسحب وتُسَاجى ، ويتم التعاطف بين الشاعر وبينها ، بما فيها من حياة وإحساس ، ونفس تخف إلى نفس ، تساجلها العطف ، وتجاذبها المودة ، فهى الطبيعة عند ابن زيدون ، ذلك الشاعر الأندلسى الذى امتزج بها كل الامتزاج ، بعد أن نفث فيها الحياة والشعور ، فأجابته وأجابها ، وأخذ منها وأخذت منه ، وعطف عليها وعطفت عليه ، حتى كانت مظاهرها مسخرة لهواه وحبه :

الـهـوى في طلوع تلك النجوم ، والمنى في هبوب ذاك النسيم
ومفسرة لآلامه ومشاعره :

يا سارى البرق غاد القصر فاسق به من كان صرف الهوى والود يسقينا
ويا نسيم الصبى بلغ نحيبتنا من لو على البعد حيا كان يحينا .
ويشند امتزاجهما حتى يعبر عنها وتعب عنه ، ويلبسها وتلبسه ، وتستقر
معانيها في نفسه كما تستقر معانيه في نفسها ، فيقول :

أما غرسٌ في ثرى العلياء لو أبطأت سقياك عنه لذبل
جفاءً هو الليل ادلهم ظلامه فلا كوكب للمعذر في أفقه يسرى
حائم شكوى صبحك هو ادلا تناديك من أفنان آداني الهدل

فتجاوبه هي الأخرى وتستعير منه ، فيكون اعتلال النسيم رقة لحاله ، ويجول
رقراق الندى في أعين الزهر رثاء له :

إني ذكرتكَ بالزمرام مشتاقا والافق طلق ووجه الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصانته كأنما رقى لي فاعتلّ إشفاقا
تلمو بما يستميل العين من زهر جال الندى فيه حتى مال أعناقنا
كأن أعينه إذ عاينت أرقى بكت لما بي ، فجال الدمع رقراقا .

وكان كل شيء في الطبيعة يذكره بليلاء : البرق بشاياها ، والقمر بهياها ،
وشدو الحائم برنين عقدها :

وإني ليستهوينى البرق صبوة إلى برق ثغر، إن بدا كاد يخطف
وتندكرنى العقد المرنّ جمانه مرئيات وُرق في ذرا الأليك تهنف .

وهذه صورة رائدة ترىنا الحياة في الطبيعة كما نراها في الإنسان :

بدت في لِداتِ كزمر النجوم حسان التحلى ملاح العطل
مشين بهادين زهر الربا يسانع زهر الصبا المقبل
فن قضب تنثنى بريح ومن قضب تنثنى بدل
ومن زهرات تندى بمسك ومن زهرات تندى بطل .

ولولا هذا النسب الوثيق وذلك التجاوب في الاحساس بينها وبينه ، ما راح
يعتب عليها في سكوتها على محنته ، وينعى عليها لانها لم ترث حظه وتندب جاهه ومنصبه :
الم يأن أن يبكي الغمام على مثلى ويطلب تأري البرق منصلت النصل
وهلا أقامت أنجم الليل مائما لتندب في الآفاق ما ضاع من نثلى
ولو أنصفتنى وهى أشكال همى لالفت بأيدى الذل لما رأت ذلى .

وكان يرى فيمن يحب ما يراه في الطبيعة من أفانين الوشى والزهر :
ياروضة طالما أجنحت لواحظنا وردا جللاء الصبا غصاً ونسرينا
ويا حياة تملينا بزهرتها مئى ضروباً ولذات أفانينا
ويمثل الطبيعة بحملها الحب كما يقول فى ورقة آس :

ورامشة يشقى العليل نسيمها مضمخة الانفاس طيبة النشر
أشار بها نحوى بنات منعم لاغيد مكحول المدامع بالسحر
سرت نضرة من عهدا فى غصونها وعلاّت بمسك من شمائله الزهر .
ويمثل الحب تجمله الطبيعة وترعاه :

أين أيا منى وأين ليل كرياض لبس أفواف زهر
حين تغدو إلى جداول زرق يتغلغلن فى حداثق خضر
فى هضاب مجلوة الحسن حمر وبواد مصقولة النبات عفر .

وقد ظفرت قرطبة من هذا التمثيل بأوفى نصيب ، حيث صور جناتها
ومعاهدها وترها ورياحها تصويراً تمثله بالعين والنفس معا :

نهارك وضاح وليلك ضحيان وتربك مصبوح وغصنك نشوان
وأرضك تكسى حين جوك عريان ورياك روح للنفوس وريحان
وحسب الأمانى ظلك المتقياً

وكم مشهد عند العقيق وجسره قعدنا على حمر النبات وصفره
وظي يسقينا سلافة خمسه حكى جدى فى السقم رقة خصره .

وما كان فى هذا الوصف وأمثاله مفتوناً فقط بالالوان ، يؤلف بينها وبين
أشئات الحسن دون أن يكون لذلك صلة بحسه ونفسه ، وإنما تناولها على أنها

مظاهر لجمال الحب في ظلال الطبيعة ، أو لجمال الطبيعة في ظلال الحب ، ولذلك لا يذكر هذه المظاهر الحسية بألوانها وزراكتها ، إلا في معرض الذكرى والحنين لعمد مضى وزمان تقدم : فبين هذه المظاهر ونفسه عهد وثيق ، وسبب ممكن ، وهذه البقطة الحسية ، تصاحبها بقطة في الشعور الباطن ، تسرى به في كل مسرى .

ولأنك لتحس هذه الصلة بين نفسه والطبيعة ، في أنه يتمثل ربيعها في نفسه ، وإن لم تقع عليه عينه ، فليس الربيع ما تبصره العين وإن بدا ، ولكن ما تحسه النفس وإن ولى : وليس الربيع عنده فترة من الزمن ، أو ظواهر من الوشى والألوان ، وإنما ينفذ إلى صميمه ولبابه ، الذي لا يقاس بالأيام والفصول ، والذي تستشعره النفس ، وتتفتح له بأزاهير المني والنشوة :

أدركها فقد حسن المجلس وقد آن أن ترع الأكؤس
ولا بأس إن كان ولي الربيع إذا لم تجد فقده الأنفس .

وهكذا فتنت الطبيعة ابن زيدون واستولت على حسه ، واستبدت بكل نفثة من نفثاته ، وخاطر من خواطره ، حتى اصطغ بها كل فن من فنون شعره ، كما يقول في المدح :

أغر إذا شما سحاب جوده تهلل وجهه واستهلت أمانل
لديه رياض للسجايا أنيقة تغلغل فيها للمعاطيا جداول

وكما يقول في الرثاء :

وعاهد ذاك القبر عهد غمامة إذا استعبرت في تربة ابتسم الزهر .

وكانه في هذا وأمثاله لتوثق الصلة بينه وبين الطبيعة يريد أن يعقد هذه الصلة دائماً بينها وبين الناس كما عقدها بينها وبين نفسه .

هذا هو ابن زيدون في الطبيعة وهذه هي الطبيعة في نفس ابن زيدون . ألا تشعر بأنها منحه أكثر مما صنعت غيره ، وأنها كشفت له عن سرارها وأسرارها حتى تجلت له على حقيقتها ؟

إنه لكذلك وإنه لخليق من أجل هذا بقلب شاعر الطبيعة ، ؟

الإسلام في وحدانية وتعاليمه

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود أحمد جميلة
المدرس بكلية اللغة العربية

الإسلام الحق عقيدة وعمل ، والعقيدة إذعان وقبول ، والعمل مظهر ظاهرى ترسم فيه العقيدة ويتحقق به الامتثال ، وهما متلازمان روح وجسم ، لا ينفك أحدهما عن الآخر ما دامت ترجى حياته ويطلب بقاؤه . والنظر فى الكون أول مبادئ الوصول متى صح النظر ، وتابعته الفكر والعبر ، قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض ، أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء . .

وانفسك التى بين جنبيك من أعقد ما يرنو إليه بصرك : تخفيها مجهول وظاهرها مستور ، وكلما أمعنت فيها ببصرك ، وتأملت بها ببصيرتك وقفت منها على سر خفى ، ينتقل بك إلى نور جلى ، حتى تصل إلى ربك العلى . وفى أنفسكم أفلا تبصرون ،

ومن أنظر عرف ، ومن عرف تيقن ، ومن تيقن آمن ، ومن آمن اهتدى ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه . ومن سلك سبيل الهداية فاض الخير على جوانبه ، فيتشكل ظاهره بمظاهر الحق ، وتقيد جوارحه بتكاليف رب العالمين . لا عصيان ولا اختراع ولا مخالفة ولا ابتداع ، فأمر الحلال والحرام بين ، وإذا ما اشتبه شيء رجعنا فيه إلى الله فى كتابه ، وإلى رسوله فى سنته : ذلك خير وأحسن تأويلا .

ومن يمعن النظر فى الوجود ، ويتأمل به بقلب بصير ، يرى فى الإسلام ديناً يحلّى الظلمات ، ويقطع العثرات ويدفع الشبهات ، وينشر الحق ويهتدى إلى سواء السبيل ، لا إفراط ولا تفريط ولا ظاهر منقطعاً عن باطن ، ولا باطن منفرداً عن ظاهر ،

وإنما هو دين واحد لرب واحد ، نزل على نبي واحد ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المؤمنين بلسان عربي مبين .

فدعوة الإسلام ناصعة بيّنة ، وتعاليمه واضحة خالدة ، فهو نور الله القوي بعث به رسوله الأمين ، ليبدد غياهب الجهل ، ويكشف عن سوءات الظلم ، ويمحو آثار الشرك ، ويحقق للإنسان ما هو جدير به من كمال ، فيحرر رقبته من رتبة العبودية الزائفة ، ويظهر كرامته بإخلاص الدين لمن خلقه وفضله على كثير من خلق تفضيلاً .

لقد نزلت بالإنسان وسأوسه وأوهامه إلى الدرك الأسفل ؛ فتردى في الهاوية واتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ، فأصممه عن سماع الحق وأعمى بصره عن رؤية آياته ، فنجحت الحجر بيده وعبيده ، وأوقد النار وقصدها بدعائه ، ووربى بيده ما يطوف به . ويقع فيه يترقب قضاء الحوائج ، وانفراج الصعاب أو يضل به خلق الله ؛ فيبتر أموالهم بغير حق ملغياً عقله مذلاً لإنسانيته ، مهدراً فطرته متجاوزاً حدوده ، لم يتأدب مع مبدعه وخالفه ، أفن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون .

فهذا الدين الذي جاء به محمد بن عبد الله ، أو هذا النور الذي حمل مشعله النبي العربي الذي حاول ويحاول كثير من صارحوه العداء وهم أهون عليه ، أو ممن شابعوه نهاراً وكفروا به ليلاً وهم أشد قسوة وأكبر خطراً — أن يغضوا من شأنه ويقللوا من قيمته بما ينوّهون من أساليب ، ويفيضون من أحاديث ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

بلغ الرسول دعوته كما تلقاها عن ربه لا مبتدعاً ولا مختلقاً ، ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين .

بلغنا الصادق الحق عن الحق بلاغا عاما لا انتقار فيه ولا اختصاص ، يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ، فدهوته عامة ، ورسالته عامة ، وكل مكلف بلغته عليه أن يتعرفها من مظاهرها متى استطاع السبيل إلى ذلك ، لأنه مدعو بها وماخوذ فيها ومحاسب عليها .

فقاطمة بفت محمد سيد خلق الله ، وأفضل خلق الله على جلة قدرها ، وقوة إيمانها ومنزلتها . يقول لها أبوها : لا أغنى عنك من الله شيئاً ، ويقول في جموع حاشدة من البدو والحضر والاحرار والعبيد ، والرؤساء والمرءوسين والانصار المهاجرين ، - والعصية الجائعة لازالت حرارتها في قلوب القوم - : لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، كلمة هدت من كبرياتهم فبددت الظنون ، وقضت على الاوهام وقطعت الشكوك ، ووحدت الامر وأجهزت على الباطيل والخرافات ، وردت أمر العباد إلى بارئها . فله الدين الخالص وفي كتابه دستور الامة ، وفي سنة نبهه بيان لمراميه وشرح لمعانيه . إنا نحن نزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم .

فالإسلام المنجى من عذاب الله ، توحيد لا يشربه شرك لا في مظهره ولا في مخبره ، وإيمان بما أنزل الله من كتاب وأرسل من رسول ، وتصديق بالملائكة والبعث ، وبما وراه ذلك من اتباع للأمر واجتناب للنهي .

وقد وحد الإسلام في خطابة بين المكافئين ، فلا سيد ولا مسود ، ولا تابع ولا متبوع ، وليس لكائن من كان أن يدعى لنفسه منزلة دينية من ربه ، تمكنه من التصرف في عباد الله بغير ما أنزل الله ، فيحل لهم أو يحرم ، أو يجلب النفع أو يدفع أو ينزل السوء أو يكشف ، ومن يفعل ذلك يلقى أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً .

وايس في الإسلام أمرار ثورتها الآباء للأبناء ، والشيوخ للاتباع ، وإنما سر الإسلام يواتيك متى تابعت نبيك ، وأخلصت قصدك ، وطهرت قلبك ، وراقبت ربك ، فيتجلى عليك ويتولاك ، وهو يتولى الصالحين . فالدين كله لله ومبلغه خاتم رسل الله ، والناس أمام الدعوة سواسية ، لا قريب ولا بعيد ، ولا عالم ولا جاهل ، والتفاوت إنما هو في فهم ما اشتبه من الأمور ، وأشكل من الحوادث وهذه وظيفة العلماء من هذه الامة ، أما يعلم ضرورة من الدين : كتوحيد الخالق وتصديق الرسل ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، وتحريم الربا والزنا والقمار والغيبة ، وقطع الرحم وايداء الجار إلى غير ذلك مما يتساوى المسلمون

في معرفته — فهم مخاطبون بالدعوة إليه ومطالبون بالمحافظة عليه ، كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، .

فالدعوة لهذه الأمور عامة من الناس وإلى الناس ، فلا يعرف الإسلام جماعة تحتكر تعاليمه أو تحتبس قوانينه ، أو تتحكم في أصوله ، فتبدل وتغير طبقاً لاهوائها وشهواتها ، وإنما يعرف الإسلام ، وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، .

هذه تعاليم الإسلام نقية طاهرة بعيدة عن المذنسات والمخطئات ، كل ما فيها روي إصلاح ، واستقامة وإنصاف ، قد حفظ بما شرع من أصول تثبت دعائم الحق ، وتزول أقدام الباطل للفرد كيانه وللجميع وجوده .

وما هو ذا الإسلام يجمعنا تحت لواء واحد ، ويدعونا إلى مقصد واحد ، لا يعترف بفروق جنسية أو حدود أقليمية ، وإنما جعل أرض المسلمين وطناً للمسلمين ، يذوبون عنها كل معتصب ، ويصدون عنها كل طامع .

وما هو ذا الإسلام يناهض من أعداء عديدين ، يقفون له بالمرصاد ، ويختلفون فيما بينهم على كل شيء ، ويتفقون على الكيد له ، يودون بجدع الأنف أن تمحي رقعته من الوجود ، وأن تطمس خريطته من العالم ، وليس للمسلمين خلاص إلا بتوحيد جهادهم وجمودهم ، وتمسكهم بعروة دينهم : فلا يتخذوا من خصوم الله وخصومهم أولياء يلقون اليهم بالمودة ، ولا يتكفوا للدخلاء مهما جودوا الطلاء وأحسنوا العرض ، فإن ما وصلنا إليه من مهانة ولحقنا من بوار ، كان بتفريطنا في صلاتنا ، وتساهلنا في روابطنا ومقوماتنا ، ولا أبغض في الحياة من ضيع دينه ودنياه ، فلم يصب بهرج المترفين ولا نعيم المتقين .

الإيلاء

مثل من احترام الإسلام للمرأة

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ منصور رجب
المدرس بكلية أصول الدين

الشريعة الإسلامية تحترم المرأة ، وتحميها من ظلم الرجل ، ومن مظاهر ذلك أن أزالته أو أمرت بإزالة عادة مذمومة ركبتها العرب ، ومشوا عليها حتى جاء الإسلام ؛ ذلك أن بعض العرب كان يتزوج المرأة ، ثم هو لا يحب أن تبقى له زوجة ، ولا هو يحب أن يتزوجها غيره ، فماذا يصنع ؟ يحلف ألا يقربها ، ويبقيها عنده في الضرر ، ويتركها على ذلك . فلما جاء الإسلام أمهل من يحلف على زوجته ألا يقربها ، أمهله أربعة أشهر يتروى فيها ، ويتأمل ، فإن رأى المصلحة في ترك هذه المضارة يرجع إلى زوجته وهي امرأته ، وإن رأى المصلحة في مفارقتها ، يفارقها لتتزوج غيره إن شئت ؛ ولذلك يقول الكتاب العزيز : « الذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ، فأن فاموا فإن الله غفور رحيم ، وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم » .

ومدلول الإيلاء في اللغة : الحلف . يقال : آلى يؤلى إيلاء ، وهو والقسم ، واليمين ، والحلف كلها بمعنى ، والتربص : الانتظار يقال : تربص بفلان انتظر به خيراً أو شراً يحل به ، والفبيته : الرجوع . يقال : فاء المولى من امرأته : كفر عن يمينه ورجع إليها . وعزم الطلاق . فسر ابن عباس : بانقضاء الأربعة الأشهر .

والإيلاء في عرف الشرع هو الحلف على الامتناع من وطء الزوجة مطلقاً ، أو مدة تزيد على أربعة أشهر . وكان الإيلاء طلاقاً في الجاهلية فغير الشرع حكمه . ولكن هل كان طلاقاً في الجاهلية يبيح للمرأة أن تتزوج ؟ يقول سعيد بن المسيب : « كان الرجل الذي لا يريد المرأة ، ولا يحب أن يتزوجها غيره ؛ يحلف ألا يقربها ، وكان يتركها بذلك لا أيماً ولا ذات بعل ، وهذا القول صريح في أن المولى منها

كانت ترك كالمعلقة . هذه عادة من عادات العرب ، كان الغرض منها مضارة المرأة ، ومكثت المرأة تئن من هذه العادة الممقوتة : حتى جاء الإسلام بإنسانيته فأبغضها ، ورفع عنها الظلم الذي كانت تلقاه من عنيت الرجل وقسوته . وها هنا أبحاث :

أولا : إذا حنث الرجل في يمينه ورجع إلى امرأته هل عليه كفارة أولا ؟

يرى بعض الفقهاء أن هذا اليمين وأمثاله لا كفارة له ؛ بل كفارته نفس الحنث فيه . والقاعدة عندهم : أن كل حنث في يمين في المقام عليها ضرر لا كفارة عليه في حنثه فيها ، بل كفارته نفس الحنث فيها ، وهؤلاء يفسرون غفران الله في الآية بغفران الكفارة . ويسندون هذا الرأي للحسن رضى الله عنه فإنه كان يقول : إذا فاه فلا كفارة عليه .

ويقول آخرون : إذا فاه المولى فعليته الكفارة . ويروون عن ابن عباس قوله : للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر هو الرجل يخاف لامرأته بالله لا ينكحها ، فيتربص أربعة أشهر ، فإن هونكحها كفر يمينه بإطعام عشرة مساكين ، أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام . ويروى أيضا أن سعيد ابن المسيب كان يرى هذا الرأي . وهؤلاء يقولون غفران الله بأسقاط العقوبة في العاجل والآجل .

ثانيا : هل يقع الطلاق بنفسه بمضى الأجل الذي ضربه الإسلام وهو انقضاء الأربعة الأشهر ؟ أو انقضاؤها يعطى المرأة فقط حق أن تطالب زوجها بالفيئة ، أو الطلاق ؛ فإن امتنع الزوج منهما طلق عليه القاضي ؟

بالأول قال أبو حنيفة . والذين يرون أن الطلاق يقع بنفسه يقولون : إن قول الله تعالى : فإن فاهوا فإن الله غفور رحيم ، هو تفصيل للحكم المتقدم كما تقول : أنا نزيلكم هذا الشهر ، فإن حدثتكم أقمتم عندكم إلى آخره ، وإلا لم أقم ولم أنحول . وأيضا يقولون : إن الإبلا طلاق في نفسه . فالطلاق إشارة إليه . وأيضا الغالب أن العازم للطلاق ، والضرار ، وترك الفيئة لا يخلو من حديث نفس ، وذلك هو الذي يسمعه الله كما يسمع وسوسة الشيطان ، فإن الله سميع علیم .

وبالثاني — وهو أن الطلاق لا يقع بنفسه — قال الشافعي ، والذين يرون

هذا الرأى يقولون : إن الفاء فى قوله : « فإن فاءوا » تقتضى كون ما بعدها من حكمى الفئته والطلاق مشروعا متراجعا عن انقضاء الأربعة الأشهر ، وأيضاً قول الله تعالى : « وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم » صريح فى أن وقوع الطلاق إنما يكون بإيقاع الزوج ، وفى أن الزوج لا بد أن يصدر عنه شئ . يكون مسموعاً ، وما ذاك إلا إيقاع الطلاق .

ثالثاً : هل الطلاق الذى يلحق المرأة بمضى هذا الأجل هو تطليقة واحدة بآئنة تملك المرأة به نفسها ؟ أو هو طلاق رجعى يملك الزوج فيها الرجعة ؟ وهل لها على كلا الرأيين عدة ؟

أما العدة فمحل اتفاق ، وأما نوع الطلاق فمحل خلاف . يرى قوم أنه طلاق بائن تملك المرأة به نفسها ، ويستند هؤلاء إلى ما يروى عن عبد الله بن أنيس « أراد من أهله ما يريد الرجل من أهله فأبى ، فخلف ألا يقربها ، فطراً على الناس بعث من الغد فخرج فغاب ستة أشهر ، ثم قدم فأتى أهله ما يرى أن عليه بأساً ، فخرج إلى القوم فحدثهم بسخطه على أهله حيث خرج ، وبرضاه عنهم حين قدم . فقال القوم : فإنها قد حرمت عليك . فأتى ابن مسعود فسأله عن ذلك : فقال ابن مسعود : أما علمت أنها حرمت عليك ؟ قال : لا . قال : فانطلق فاستأذن عليها ، فإنها مستنكرة ذلك ، ثم أخبرها أن يمينك التى كنت حلفت عليها صارت طلاقاً ، وأخبرها أنها واحدة ، وأنها أملك بنفسها . فإن شامت خطبتها ، فكانت عندك على اثنين . وإلا فهي أملك بنفسها .

ويروى عن ابن عباس أيضاً مثل هذا الرأى ، وقبيصة بن ذؤيب أيضاً كان يقول : هى تطليقة واحدة بآئنة ، وتأتلف العدة وهى أملك بأمرها .

وإذا كان ابن عباس ، وابن مسعود ، وقبيصة بن ذؤيب ممن يرون هذا الرأى ؛ فيروى عن أبى يونس السقوى أن سعيد بن المسيب قال له : ممن أنت ؟ قال : من أهل العراق . قال : لعلك ممن يقول : إذا مضت أربعة أشهر فقد بانت ؟ لا ، ولو مضت أربع سنين ، ويروى أيضاً عن غيره أنه كان يقول : إذا مضت الأربعة الأشهر فهي تطليقة ، وتستقبل عدتها وزوجها أحق برجعتهما .

الإيلاء

٦٤١

رابعا : هل يشترط في الإيلاء أن يقع في حال غضب أولا ؟

يشترط بعض الفقهاء في الإيلاء أن يقع في حال غضب ، وسندهم في ذلك ما يروى عن رجل توفي أخوه وترك ابنا له صغيرا ، فقال لامراته : أرضعيه ، فقالت : إني أخشى أن تغيلهما - العَسِيلُ : اللبن ترضعه المرأة ولدها وهي توثي ، أو وهي حامل . وفي الحديث لقد هممت أن أنهي عن الغيلة - خلف ألا يقربها حتى تغطمهما ، ففعل حتى فطمتهما ، فخرج ابن أخى عطية إلى المجلس فقالوا : لحسن ماغذى أبو عطية ابن أخيه . قال : كلا زعمت أم عطية أني أغيلهما ، خلفت ألا أقربها حتى تغطمهما . فقالوا له : قد حرمت عليك امرأتك . فذكرت ذلك لعلي رضي الله عنه . فقال علي : إنما أردت الخير وإنما الإيلاء في الغضب . وفي رواية أخرى يقول علي رضي الله عنه : الإيلاء ما أريد به الإيلاء . ويروون عن ابن عباس قوله : لا إيلا إلا بغضب .

ويقول آخرون : كل يمين حلف بها الرجل في مساواة امرأته فهي إيلاء منها على الجماع ، حلف أو غيره في رضا حلف أو سخط . وحجتهم عموم الآية ، وأن الله تعالى ذكره لم يخص من قوله : للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ، بعضا دون بعض : بل عم به كل مول ومقسم .

وعلى كل فالإسلام نصير المرأة ، اعتبرها كائنا بشريا لاشيئا من الاشياء ، كما كانت تعتبرها الشرائع الأخرى . كانت تقبل خشية الإملاق ، وكانت لا ترث ؛ بل كانت تورث هي كما يورث المتاع ، فأعطاهما حق الحياة وحق الملك ، وعاملها على أنها كائن عاقل رشيد . وإذا كنا نرى اليوم من يضار المرأة ويتفنن في إيذائها ، ويخرجه غضبه عن طوره ، فيهجر امرأته مدة قد تطول أو تقصر ، فقد رأينا حكم الشريعة الإسلامية في أن ضربت لذلك أجلا إذا تخطيتاه وقمنا في الحرج والإثم ، وإذا كان الإيلاء مثلا من احترام الإسلام للمرأة ، ففيه في شرعة الإسلام كثير وكثير .

العقيدة الإسلامية

لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ بدر المتولى عبد الباسط
المدرس بكلية الشريعة

قال رسول الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه». الثدين فطرة فطر الله الناس عليها، فابن الغابة وابن المدينة وابن البادية وابن الحاضرة، كل أولئك ينشأون على اعتقاد أن هناك قدرة قوية تدير هذا العالم، وتدبر أموره، وتنظم شئونه، قوى يلتمسها الإنسان فيما حوله من الكائنات، فأما قصار النظر فوقفوا عند المحسوس، أو اطمأنوا إلى ما عليه الآباء والجدود، وأما أولئك الذين أثار الله بصائرهم فلم يقفوا عند حدود المرئيات، بل تغلغلوا بمقوله إلى ما وراء ذلك حتى وصلوا إلى الحق، وقد صور الله سبحانه حيرة الإنسان في طريق وصوله إلى الحق، بما ذكره في قصة إبراهيم عليه السلام، حينما كان يحاور قومه ايرشدهم إلى الإله الحق على طريقة الاستفراء المعروفة عند المربين، قال سبحانه: «فلما جن عليه الليل رأى كوكبا، قال هذا ربي، فلما أفل قال لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي، فلما أفل قال لئن لم يهدينى ربى لأكونن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر، فلما أفلت، قال يا قوم إني برىء مما تشركون، إني وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين». ولما كان أكثر الناس لا يؤمنون إلا بالمحسوس، ويكفرون بما وراءه، وجدنا منهم من عبّد الجناد والحجر، وقُدس الحيوان والشجر، وسجد للشمس والقمر، بل إن بعضا من الناس ألغى عقله، فصنع الحجر بيده ثم خر له ساجدا، وقرب إليه القرابين، وتزلف إليه بجميع أنواع الزلقى، وما ذلك إلا لافتتانه بالمحسوس أو انقياده إلى التقليد الاعشى.

لهذا لم يدع الله الناس إلى عقولهم فحسب ، لانه كثيرا ما تطنى عليها الالهواء وتعميها ظروف البيئة ؛ بل أرسل إليهم رسلا مبشرين ومنذرين لكي لا يكون للناس على الله حجة ، وكانت المهمة الأولى للأنبياء والمرسلين ومن على طريقته من العلماء والمرشدين : هي إصلاح مافى عقائد الناس من خطأ ، وإرشاد العقول إلى طريق الحق والصواب ، وإرجاع الناس إلى فطرتهم السليمة التي أفسدها البيئة ، وطفئت عليها الالهواء . شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، ، إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، فحمد صلى الله عليه وسلم أرسله الله على حين فتره من الرسل ، طمست فيها الشرائع ، وبدلت فيها العقائد ، واحتكر الدين قوم أغلقوا على أنفسهم الصوامع والبيع ، وباعدوا بينهم وبين الناس ، فجاء محمد صلى الله عليه وسلم ، فجدد ما اندرس من هذه الشرائع ، وأرشد الناس إلى العقيدة الصحيحة ، وجعل العلم حقا مشاعا للجميع ، فرض تعلمه على كل مسلم ومسلمة ، وأطلق العقول من قيودها ، وأيقظ الافكار من سباتها ، وميأ الإنسانية لحياة حرة كريمة .

مركز تحقيق كميونر علوم إسلامي

وليس الدين الذي جاء به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كلمة تقال ، أو حركات ورسوم ، وإنما هو عقيدة صحيحة متغلغلة في سويداء القلوب ، متسلطة على الجوارح والأعضاء ، فدينه عقيدة تؤيدها الأقوال والأفعال .

والعقيدة هي الأساس لهذا الدين فهما نصف الإنسان بكريم الخلال ، أو قدم من صالح الأعمال من غير أن يكون صحيح العقيدة ثابت اليقين ، يكن كن يبنى على شفا جرف هار ، فانهار به في نار جهنم .

• مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، لا يقدرון مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد . .

• والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ، يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله سريع الحساب ، أو كظلمات في

بحر لحي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض :
حتى إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نوراً قلله من نور ، .
إذا كان هذا هو شأن العقيدة في الدين ، فلا عجب أن كان تصحيح العقائد
أول مهام الانبياء والمرسلين ، وخلفائهم من العلماء العاملين . ولا عذر لأحد في
الجهل بأصول دينه مع توفر أسباب العلم ، وكثرة وسائله : فواجبك الأول أيها
المسلم والمسلمة أن تنظر في عقيدتك ، وترى أمي صحيحة أم فاسدة . والعقيدة
الإسلامية لا التواء فيها ولا غموض ، ولا لبس فيها ولا تعقيد ، بل هي فهارتك
التي فطر الله الناس عليها ، ليس فيها تعاليم سرية ، لا تلقن إلا من وراء الحجب
والاستار : بل هي واضحة المعالم نيرة الطرق ، متفقة مع العقول السليمة
والبصائر النيرة .

وأساس هذه العقيدة هو الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر والقضاء والقدر ، ومعنى إيمانك بالله تعالى أن يعتقد قلبك اعتقاداً جازماً
لا شك فيه ، أن لهذا العالم إلهاً ليس كمثل شيء ، واحداً في ذاته وصفاته وأفعاله ،
قادراً مريداً سميعاً بصيراً متصفاً بكل صفات الكمال ، منزهاً عن كل صفات
النقصان ، وأن كل من سواه مفتقر إليه في كل أموره وأنه غنى عن كل ما هداه ...
والإيمان بالله على هذا الوجه هو النور الذي يهدي الناس إلى سبل السعادة في
الدنيا والآخرة ، وهو رأس كل خير وأساس كل فضل ، وعصمة للإنسان عند
الرخاء ، وعدة له عند البلاء ، ومن حرم الإيمان بالله تعالى ، فهو في ظلمات بعضها
فوق بعض : فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله
يجعل صدره ضيقاً حرجاً ، كأنما يصعد في السماء : كذلك يجعل الله الرجس على
الذين لا يؤمنون . .

ولذا كان هذا هو شأن الإيمان بالله تعالى بالنسبة إلى الأفراد ، فهو للآدم
حماية لها من الأفكار الهدامة والنزعات المتطرفة ، وسياج لها من فساد الأخلاق ،
فكل أمة فشا فيها الإلحاد والكفر باقه ، تحللت أخلاقها ، وتفرقت كلمتها بتفرق
أهوائها ، فكل آرائها تكون صادرة عن الهوى والغرض ، وما أكثر الأهواء
والأغراض !! لهذا كان الإيمان باقه تعالى رأس الأديان الساوية كلها . .

ولقد أقام الله البراهين القطعية على وجوده ووحدانيته، واتصافه بكل كمال وتزعمه عن كل نقص ، ولا أقول لك التمس هذه الأدلة من كتب الفلاسفة والمتكلمين ، ولكن أقول لك التمسها من كتاب هذا الكون البديع . فكل ما تراه عينك ، أو تسمعه أذنك أو تلمسه يدك ، أو يذوقه فمك أو يشمه أنفك دليل على الإله القادر الحكيم .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وليبدأ الإنسان بالنظر إلى نفسه ، وما أودع فيه من قوى ظاهرة وباطنة ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، ثم لينظر نظرة أخرى إلى ما حوله من كائنات علوية وسفلية ، فإنه مع تباين أجناسها ، وتعدد أنواعها ، واختلاف أشكالها وألوانها ، وخصائصها ومميزاتها ، تجدها كلها مرتبطة بأوثق رباط ، وأحكم الصلات ، فتجد الأرض مرتبطة بالسما ، والسما مرتبطة بالأرض ، والهواء مرتبطاً بالماء ، والماء مرتبطاً بالهواء ، والحيوان مرتبطاً بالنبات ، والنبات مرتبطاً بالحيوان ، والكل مسخر للإنسان : « أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله من شيء . فهل يكون كل ذلك عن طريق المصادفة البهتة ، مع هذا الإتيان والإحكام ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ! ثم إن كان كل شيء قد وجد بطبيعته ، فمن الذي ربطه بين أنواع الموجودات ؟ ومن الذي خالف بين أفراد النوع الواحد مع اتحاد الأسباب والمؤثرات ؟ هل تقذف الطبيعة إلى الوجود إلا شكلاً واحداً للنوع الواحد ، كآلة لا تقذف إلا نموذجاً واحداً ، لما تخرجه من المصنوعات ، أفلا يدل ذلك كله على الصانع الحكيم ، الذي يدبر شئون هذا العالم وينظم أموره : « ومن آياته خلق السموات والأرض ، واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ، « وفي الأرض قطع متجاورات وكنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضهم على بعض في الأكل : إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . »

فهذا السكون ما هو إلا سفر كله آيات على صحة عقيدتك أيها المسلم والمسلمة في الله تعالى فلا تلتبس في سواء دليلا .

وكلما تقدم العلم وتيسرت وسائله ، تكشفنا أدلة جديدة تؤيد هذه العقيدة ، سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، فهذه هي الذرة قد انكشف لنا شيء من سرها . من الذي أودع فيها تلك القوة الجبارة ، وجعل كل ذرة مع صغر حجمها وتفاهة شأنها ، مثل مجموعة شمسية في كواكبها وأفلاكها ؟ فليتقدم العلم ما شاء له الإنسان أن يتقدم ، فلن يكون إلا حجة للدين ، وبرهاناً على وجود رب العالمين .

لعل أحداً من المسلمين الآن لا يشك في وجود الله تعالى ، اللهم إلا أن تكون طبيعته قد فسدت وبصيرته قد عميت ، وهؤلاء قد خلدوا ربقة الإسلام من أعناقهم ، وليس إنكارهم عن حجة أو شبه حجة ؛ ولكن عن مرض في نفوسهم .

وقد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ، وينكر الفم طعم الماء من سقم ، وأمثال هؤلاء قد وجدوا في كل أمة ، وفي كل زمان ككرويات الأمراض المختلفة من وجدت البيئة التي تناسبها ، فتكت بالناس فتكها الذريع ؛ لكنها لا تؤثر في من عنده مناعة في بنيته . فلنحرم عقولنا وعقول أبنائنا من سموم هذه المكروبات البشرية .

وإذا كان مما يُسر له أن أكثر المسلمين صحبوا العقيدة في الله تعالى ، إلا أنه مما يؤسف له أن أكثرهم لا تظهر عليهم آثار هذه العقيدة ، فبينما نراهم يعتقدون بأن الله وحده هو الرزاق ذو القوة المتين ، إذا بك ترى كثيراً منهم يلتمسون الرزق من ذيره ويطلبونه من سواه . وبينما يعتقدون أنه وحده هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، إذا بهم يضرعون في الشدة إلى غيره ، ويلتمسون كشف الضر من سواه ، وبينما يعتقدون بأنه سبحانه حكيم في أفعاله وأحكامه نراهم إذا نزلت بهم نازلة سخطوا وجزعوا ، وإذا نهاهم عن منكر أو أمرهم بمعروف لم يمثلوا ؛ بل منهم من يرى الحكمة في غير ما حكم الله ، وهؤلاء لاحظ لهم من الإسلام إلا أن يتسموا بأسماء المسلمين ، ويدفنوا في قبور المسلمين ، والعقيدة مالم يكن لها سلطان في القلوب كانت فكرة مجردة ، وشتان بين العقيدة والفكرة . ونعوذ بالله من فكر بلا عمل ، كما نعوذ به من عمل على جمل .

أدب الجوار

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المنعم أبو سعيد

جعل الله الحياة متشابكة المصالح متعددة المنافع ، متشعبة النواحي ، لا يستطيع النهوض بها فرد ، ولا القيام بأعبائها إنسان ، مهما أوتي من قوة العزم ، وشجاعة الجسم ، وسعة الحيلة ونفاذ البصيرة . وهل يستطيع شخص أن يقوم بشئون حياته وحده ، ونحن نشاهد ، ونبصر بعيوننا تعدد مشاكلها ، وقسوة مطالبها ، وشدة متاعها ، وكلما انتهى المرء من علاج أمر فيها ، راعه وأزعجه أمر آخر ، لا قبل له به ، ولا طاقة له عليه ، ولا حيلة إلا أن يقف عاجزا حائرا مضطربا .

هذه الحياة المعقدة المتشابكة ، لا يسئل على الإنسان شدتها ، ولا يلين له قسوتها إلا تعاونه مع غيره تعاونا يسوده الإخلاص ، وتزيينه مراقبة الله عز وجل ، واتفاقه مع سواء من بنى جنسه ، اتفاقا أساسه شرف النفس ، ورقة الحس ، وخلوص القلب ، ونقاء الضمير ، وصفاء السريرة ، والبعد عما حرم الله .

ألا وإن أعظم مظاهر التعاون والتساند ، ما يكون بين الجار وجاره من حسن التآلف ، وصدق الترابط ، وتوثق الإخاء ، وإحكام روابط الالفة ، ووشائج المودة .

فجارك أقرب الناس إليك ، وأسمهم لصيحتك ، وأسمهم لنصرتك ، يسعفك وقت الشدة ، ويخف إليك حين النازلة ، يحاول أن يخفف عنك من الكرب ، وييسر عليك ما نزل من النوب ، بما يبذل من مساعدة سريعة ومعونة عاجلة ، يحتاجه المرء في أشد ساعات الليل ظلاماً وأكثرها حلكة ؛ فلا يمر عليه طلبه ، ولا يمر عليه حضوره ، فالحاجة إليه شديدة ملحة ، وعشرته طويلة مستديمة .

من هنا جاء الإسلام بآداب وتعاليم تؤكد الروابط ، وتحكم الصلات ،

وتقوى الآلفة، والمحبة بين الجار وجاره، أمر الدين بحسن الجوار، وحث عليه حثا قويا مؤكدا: ليقوم النفع والانتفاع، والتعاون بين الجيرة على أساس متين من الحب، وصدق المودة، ودعا دعوة جازمة صريحة إلى بذل الخير للجار، وكف الأذى عنه، قال تعالى: «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وبالوالدين إحسانا، وبذي القربى واليتامى والمساكين، والجار ذي القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب وابن السبيل، وما ملكت أيمانكم، إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا».

وكان الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم شديد العناية بالجار، كثير العطف عليه والوصية به، يبذل لجاره من خالص ماله، ومن إخلاص قلبه، وسماحة نفسه ومن عاطفته وحبه، ما يطاق الآلسنة بالدعاء والشكر، ويفعم الأفئدة بالثناء والحمد، ويفرس في أطواء القلوب أعماق الحب، وأصدق المودة، وكان صلى الله عليه وسلم لا يفتأ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»، والمعنى يلحقه بالقرابة القريبة التي يؤول إليها مال الإنسان وما يملكه بعد حياته.

فهل بعد هذا احترام لصلات الجوار، وتنديس لروابطه؟ وهل بعد هذا حث على أن تقوم العلاقات، وتنهض الصلات بين الجيران على أقوى دعائم الآلفة والمودة؟ ليشعر الجار أنه حين يخدم جاره، ويبذل له عونته ونصرتة إنما يخدم نفسه، ويحسن إلى شخصه، وأنه يدخر لنفسه عند الله ثوابا وفيرا، وأجرا كبيرا.

إن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «جار له حق واحد، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق. فالجار الذي له ثلاثة حقوق. الجار المسلم ذوالرحم، فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم، وأما الجار الذي له حقان، فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، والذي له حق واحد الجار المشرك».

فالإسلام بأسمى تعاليمه، وأروع آدابه، يحترم الجار ولو كان مشركا؛ فإن له حق الجوار، وهو الإحسان في المعاملة، وكف الأذى عنه، وتقديم الخير له.

أليس مما يوجب أشد الأسف ، وأمض الحزن ، وأحر اللوعة ، ما نراه شائعاً الآن بين الجيرة من تدابر ، وما نلمسه في صفوفهم من تنافر ، وما ينشأ بينهم من خصومات ومنازعات ، لا تقف عند حد ، ولا تنتهي إلى نهاية ، وبدلاً من أن يدعواهم الجوار إلى الاتحاد والوئام ، كان سبب التحاسد والحصام ، ومدعاة المنافسات الحاقدة ، والمكائدات الآثمة ، والاعتمادات الظالمة .

أول ما يجرب الإنسان شروره يجربها بين جيرانه ، وأول شرارة تنبعث من آثامه إنما تنبعث عليهم ، فهو ينهز فرصة الجوار ؛ لينتهك الحرمات ، وينشأ الأعراض ، ويسلب الحقوق ، ويكشف العورات ؛ كما تفعل أشد الحيوانات شراسة ، وأقبحها وحشية ، يعتمد عليه إن كان قوياً عنه ، ويستعبد ويستذله إن كان ضعيفاً لا يستطيع الثبات أمامه ، وما دام يستطيع الإفلات من يد القانون ، والحرب من وجه العدالة ، فليكثر الإيذاء ، ولتتعدد الشرور إلى حد لا يقره شرف ، ولا يرضاه دين ، ولا تستسيغه رجولة .

فهل عند هؤلاء ذرة من الإيمان الصحيح ؟ وهل عندهم لمحة من مراقبة جبار الأرض والسموات ؟ .

هذا هو منطق الإسلام ، صريح لا غموض فيه ، مستقيم لا هوج فيه ولا التواء ، وقد دفعهم بقارعتة ، وسلمهم الإيمان الذي يملأ القلب نوراً ، والنفس رحمة .

يقول صلى الله عليه وسلم : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ! قيل من يارسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه . قالوا : وما بوائقه ؟ قال : شره وظلمه . » .

فهل بعد هذا صراحة في سلب الإيمان عن شخص لا يكف شروره ، ولا يمنع ظلمه عن جيرانه .

ولكن لا يعتبر بهذا ، ولا ينصت إليه هؤلاء الذين تسلطت هائم شرورهم ، وامتلكتهم شياطينهم : فأخذوا يمحرون جيرانهم وأبلا من عدوانهم وإساءتهم .

ألا ما أروع أدب الاسلام ، وما ألمع حكمة النبوة الخالدة ، وأجل تصوير الرسول صلى الله عليه وسلم لحق الجار ، وشدة عنايته بحمايته ! لقد قال صلى الله عليه وسلم يوماً لأصحابه : « ما تقولون في الزنا ؟ » قالوا : حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة . فقال صلى الله عليه وسلم : لأن يزني الرجل بعشر نساء أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره ! فسا تقولون في السرقة ؟ قالوا : حرام حرمها الله ورسوله فهي حرام . قال صلى الله عليه وسلم : لأن يسرق الرجل من عشر أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره !

فهل يتدبر هذا من يتغافلون عن هذه الآداب ، ويغفون عيونهم عن تلك التعاليم ؟ وهل يتعقل أولئك الذين يدعون نفوسهم تستجيب لأهوائها ، وتخضع لنزواتها ، وتضعف أمام أحقادها ؛ فيشتد التناكر بينهم وبين جيرانهم ، من أجل ذلك تفسد الروابط ، وتنقسم العلاقات ، انفصاما تاما لا ارتباط بعده ! يقترب الواحد منهم من أخيه وجاره ، ويسمع صوته بل همسه ، ويشاهد من أحواله ما لا يطلع عليه إلا أقرب الناس إليه ، وأمسهم به رحما ؛ فإذا تقابلت الوجوه ، تبادرت القطيعة ، وتنافرت الألفة ، وغابت المودة ، ولوى كل وجهه ؛ فلا سلام ولا تحية ، ولا تعارف ولا اتصال ، ولا زيارة في صحة ، ولا عيادة في مرض .

أليس كل عاقل يدرك أن هذا ضعف في الخلق ، ونقص في الرجولة ، وجهل بآداب الدين والاجتماع ، لقد انعكست الأوضاع ، وانقلبت الأمور ، فأصبح الجوار وسيلة إلى الإيذاء ، وسبيلا إلى الشر ، ومدعاة إلى العدوان والظلم ، وهامى دور المحاكم والقضاء شاهدة على ظلم الإنسان لجاره الإنسان ، مع أن نبي الإنسانية صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يا أبا ذر لا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وإذا اشتريت لحما ، أو طبخت قدرا ؛ فأكثر مرقه واغرف لجارك منه . »

ويجعل النبي الكريم شهادة الجار في جاره مقياسا لما هو عليه من خير أو شر وصلاح أو فساد ؛ سأل رجل فقال : يا رسول الله كيف لي أن أعلم إذا

أنا أحسنت أو أسأت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت ، وإذا سمعهم يقولون قد أسأت فقد أسأت » .

وهل في أي شرع من الشرائع ، أو أي دستور من الدساتير ، دعوة إلى تقديس الجار وحمايته ، واحترامه والإحسان إليه . مثل هذه الدعوة الكريمة التي جاء بها الإسلام على لسان رسوله العظيم ؟

يقول صلوات الله عليه : « أتدرون ما حق الجار ؟ إن استعان بك أعنته ، وإن استنصرك نصرته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن افتقر عدت عليه ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعته جنازته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيتة ، ولا تستطل عليه بالبناء ؛ فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، وإذا اشتربت فأكهة فأهد له ، فإن لم تفعل فادخلها سرا ، ولا يخرج بها ولدك ؛ ليغيظ بها ولده » .

هذا هو الدين الحق ، والأدب الكريم ، والخلق المستقيم ، والمعاملة الطيبة ، فن أبصر فلسفه ومن عمى فعلها ، وما ربك بظلام للعبيد .

الاستبانة والتبيين

قال علي بن الحسين رضي الله عنهما :

« لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الاستبانة ، وجملة الحال في فضل التبيين ، لأعربوا عن كل ما يتلجلج في صدورهم ، ولوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة إلى كل حال سوى حالهم ، وعلى أن درك ذلك كان لا يعدمهم في الأيام القليلة العدة ، والفكرة القصيرة المدة ، ولكنهم من بين مغمور بالجهل ، ومفتون بالعجب ، ومعدول بالهوى عن باب الثبوت ، ومصروف بسوء العادة عن فضل التعلم » .

نقول لقد كشف الإمام عن أشد أدواء القلوب ، وعن أشنى علاج لها ، وهو أن الجاهل لا يستبين مالا يعلمه من يعلمه ، فيبقى طوال حياته غريقا في جهالته مصروفا عن علاج علته .

عِلْمُ الْمُسْلِمِينَ وَتَقْدِمُ الْعِلْمِ*

للأستاذ عمر طلعت زهران
أستاذ في الآداب

حمل العلماء المسلمون العبء الأكبر في البحث والإنتاج من منتصف القرن الثامن إلى منتصف القرن الثاني عشر الميلادي ، وكانت اللغة العربية هي لغة العلم والمعرفة — قبل عصر النهضة — كما كانت لغة الثقافة عامة ، لا للمسلمين فحسب ، وإنما لجميع الأمم والمجتمعات التي أخذت المدنية الإسلامية : كالمسيحيين ، واليهود ، والفرس ، وأهل الشام ، والبربر ، والأتراك .

والنشاط العقلي ، فيما يدلنا التاريخ ، ليس حقاً وراثياً لأي جنس أو مجتمع ، وإنما هو نتيجة استقرار الحياة ، وخلوها من كوارث الطبيعة أو الحروب أو الطغيان . والحياة جادت بالمباقرة حيث وجد السلام والرخاء ، في كل عصر ، وفي كل جنس ودين . وكلما ساد السلام ، وعمت الطمأنينة والرخاء ، في مجتمع ، كلما استطاع أن يحقق قدراً أكبر من الإنتاج العلمي .

ومن المأثور عن الحكم الإسلامي — فيما يروى التاريخ — تشجيعه للزراعة والتجارة ، ورعايته للعلوم والفنون ، فكان من نتائج هذا أن ساهم المسلمون ومواليهم بقدر كبير في تقدم العلوم .

وترك لنا المؤرخون ، وكتاب السير والعلماء ثروة ضخمة ، أضاع الكثير منها المغول في الشرق ، وعفاكم التفتيش في إسبانيا في الغرب : وما بقي ظل في أيدي بعض الجهال من المسلمين ، فاحتفظوا به ، بوصفه من آثار السلف ، أو باعوه ، فذهب إلى المكتبات الأجنبية .

(*) من مجلة Islamic Review أغسطس سنة ١٩٤٩ : نصيب علماء المسلمين في تقدم العلم ، للأستاذ محمد عبد الرحمن خان مدير أكاديمية حيدر آباد .

ومن هنا كنا مدينين للمستشرقين من الغربيين ، حين نشروا وشرحوا بعض كتبنا التي طال عليها النسيان ، فخدموا المدنية عامة ، والثقافة الإسلامية خاصة . بدأ المسلمون بعصر الترجمة عن اللغات الإغريقية والفارسية ، وما لبثوا حتى بدت شخصيتهم واضحة جليلة ، فبحثوا وألفوا ، وما إن حل القرن التاسع الميلادي ، حتى تميز بأنه « عصر إسلامي » . فقد كان العلماء المسلمون فيه يعملون لواء العلم ، كما كانوا هداة المدنية ورعاة الحضارة . وذهب صيت الكندي والحوارزمي والفرغاني وغيرهم ، يدوي في أرجاء العالم العقلي : في الرياضيات والفلك والفلسفة والموسيقى وغيرها من الفنون . وظلت أبحاث الفرغاني الفلكية حجة علماء هذا الفن ، حتى القرن الخامس عشر ، وترجمت إلى اللاتينية والعبرية ، فقد قاس محيط الكرة الأرضية ، وعرف كثيراً عن المسافات بين الكواكب ، وقدّر أحجام ومحيطات بعضها .

أما أبو مشعر ، ويعرفه الغرب باسم Albumasar ، فقد شرح نأثر المد والجزر بالقمر .

وفي النصف الثاني من نفس هذا القرن ، عرف العالم الغربي مسائل أرخميدس وكتابات أبولونيوس^(١) ومينالوس عن طريق المني ، وهلال الخصي ، وأحمد ابن يوسف ، كما أتم الحوارزمي مسائل هندسية دقيقة . وصنف البيهقي ، ويعرفه الغرب باسم Albatelgnius ، قائمة تضم ٨٨٠ نجماً ، كما عرف المجموعة الشمسية ، واكتشف اكتشافات فلكية هامة حتمتها العلم الحديث أخيراً . وكان أبو كامل ابن أسلم ، وإبراهيم بن سنان - والاول من علماء الجبر ، والثاني من علماء الهندسة - أشهر رياضيين ، زانا عصر المسعودي أعظم المؤرخين قاطبة .

ونجد الفلاسفة المسلمين على علم واسع غزير ، ألموا بنواصي العلوم ، وتمكنوا من دقائق الفنون ، فلم يكن أبو زكريا الرازي ، وهو Rhazes الذي شاد بذكره الغربيون ، طبيباً متمكناً فحسب ، وإنما كان عالماً تجريبياً في الطبيعة والكيمياء أيضاً ، وترك أبحاثاً رائدة خالدة في الطب ، وسبق لافقوازيه^(٢) في أبحاثه عن طبيعة العناصر الكيميائية .

(١) أبولونيوس دورجا ، عالم هندي إغريقي عاش في الاسكندرية في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد

(٢) عالم فرنسي كيميائي شهير من مؤسسي علم الكيمياء الحديثة ، له نظريات كثيرة ، ولد

عام ١٧٤٣ وقتل على الجولوتين عام ١٧٩٤ .

وإن أى عصر ليفخر بأمثال عبد الرحمن الصوفى ، وابن بونس ، وابن الهيثم ، والبيرونى ، وابن سينا ، وعمر الخيام ، وابن رشد . كان الاول راصداً فلوكياً ممتازاً ، لا يزال كتابه « صور الكواكب » ، منبعاً لدراسة الظواهر السماوية . ووضع ثانيهم جداول فى القاهرة أدت إلى استكشافات فلوكية هامة . أما الثالث فهو إمام الرعيل الاول من علماء الطبيعة ، وكتابته فى علم الأبصار صحيح أخطاء نظريات كثيرة عن طبيعة الأبصار .

وأبحاث البيرونى تضعه فى الصف الاول من صفوف علماء الفلك ، كما كان باحثاً منهجياً فى الظواهر الطبيعية ، كما يظهر من وصفه لضوء الشفق ، وارتفاع المياه فى الجداول ، وتاريخ وادى نهر السند . وما زال قانون ابن سينا فى الطب لإنجيل القرون الطبي ، وقد اكتشف أن بعض الامراض تنقل عدواها عن طريق الماء ؛ وإن شهرة « عمر الخيام » كعالم رياضى لتفوق شهرته الواسعة كشاعر بهر العالم بركة شعره ومعانيه .

ولم يكن ابن رشد ندا لارسطو — مثله مثل الفارابى — فحسب ، وإنما تميز باكتشافات عدة منها معرفته البقع الشمسية ، وابتكاره آلة قياسية دقيقة . وكانت تراجم محمد الأصفهاني لخمس كتب من سبعة ألفها أبولونيوس ، هى المصدر الوحيد الذى عرفها به العالم . وكان « نصير الدين الطوسى » ، أول علماء هولانكو ، وكتب كتابه الذائع الشهرة : « المتوسطات وشكل القطع » ، وناقش نظريات إقليدس مناقشة أخذها عنه « سيرو لانوسا كيرى » ، وبنى عليها أساس الهندسة غير الإقليدية . وشرح أحد تلامذته تكوين قوس قزح فسبق ديكارت (١) بثلاثة قرون .

وكم من دقائق اقتصادية وجغرافية وجنسية نجدها فى رحلات ابن الخوقل وابن جبير ، وابن بطوطة ، وما زالت أهمية كتب ياقوت والإدريسى قائمة توثق ثمارها .

وكان الزهروى أكبر علماء عصره فى التشريح ، وذكر فى كتابه « التصريف » ،

(١) فيلسوف وطبيب وعالم هندسى فرنسى ، كتب : « مقال عن المنهج وتأملات ميتافيزيقية » ،

ومات فى استكهولم وهو يعالج ملكتها سنة ١٦٥٠ .

حقائق كثيرة ، وطبع منه الجزء الخاص بالجراحة في جامعات البندقية وبال وأكسفورد .

وكتب ابن النفيس في الحديث وأمراض العين والتغذية ، وبين في كتابه شرح تشریح ابن سینا ، وظيفة القلب في توزيع الدم . وكان الأطباء المسلمون حجة في أمراض العيون ، فكان كتاب نور العيون ، لصالح الدين بن يونس مرجع الأطباء لقرون بعد وفاته .

ونظراً لرخص المنتجات اليدوية - في القرون الوسطى ، ورخص حيوانات النقل ، وقلة الحاجة الى الكياليات ، فإن العناية لم تتجه الى الابتكارات الميكانيكية . ومع ذلك نرى العرب عرفوا الساعة المائية ، وبحشوا في قوة الماء والنافورات ، وعرفوا البارود ، واستخدموا البوصلة المغناطيسية في الملاحة . وقاد ابن ماجيد سفينة فاسكودا جاما ^(١) الى الهند .

وعرف العرب الاعشاب الطبية ، وطوفوا في أنحاء العالم بحثاً عنها . ولسنا نبالغ إذ نقول : إن العرب بدأوا الزراعة في أسبانيا على أسس علمية ، ومنها انتشرت الى أوروبا . ولم يقتصر اهتمامهم بالنبات ، وإنما تعداه الى عالم الحيوان ، فاهتموا بالزراعة والمواد خاصة ، وعرفوا نظرية التطور ، عرفها النظام المتوفي سنة ٨٤٥ م ، وما دحي بن يقظان ، لابن طفيل إلا قصة علمية سطحية عن التطور .

وبجانب شهرة جابر بن حيان في علم الجبر ، فإنه كان أكبر باحث - في عصر ما قبل النهضة - في الكيمياء .

وإن هذه المعلومات وأمثالها ، إنما نستقيها ، من دوائر معارف إسلامية لامثال ابن النديم الوراق ، وابن أبي أصيبعة ، وياقوت وابن خلكان وغيرهم . ولسنا ننسى أخيراً أبحاث ابن خلدون في علم الاجتماع التي سبق بها أوجست كونت ^(٢) الذي يقولون - زوراً - إنه مبتكر هذا العلم .

(١) ملاح برتغالي اكتشف سنة ١٤٩٨ م طريق رأس الرجاء الصالح حول أفريقيا ، إلى الهند .

(٢) العالم الرياضي والفيلسوف الفرنسي المعروف ، وصاحب المذهب الوضعي عاش بين

إعجاز القرآن:

مَنْهُ الصَّرْفُ

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد حسن العماري
مبعوث الأزهر بالسودان

— ٣ —

إذن فليس أمامنا — مما يمكن أن نطمئن إليه اطمئنانا كاملاً — إلا هذا النص الذي وقع لنا في كتاب الحيوان للجاحظ ، ولكي نفهم هذا النص فهما أقرب إلى الصواب ، نحب أن نقدم بين يديه ما يسد رأينا في فهمه ، وما يلقي لنا ضوءاً على المقصود منه .

يكاد يكون من الأمور المشتهرة عن الجاحظ أنه يرى في إعجاز القرآن ، رأى أهل العربية . ذكر صاحب المواقف في كتاب النبوات ذلك فقال : « وقيل - أى في إعجاز القرآن - كونه في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعمده مثلها ، وعليه الجاحظ ، . وفي كتب الجاحظ ما يؤيد ذلك ، وهو تارة يقول : إن القرآن معجز من ناحية أسلوبه ، وتارة يقول من ناحية نظمه ، والمطالع لكتبه يجد تحذير بذلك في مواضع كثيرة ، ومن قوله في ذلك بعد ما ذكر ما كان من شأن النبي مع قومه : « وعو في ذلك يحتاج عليهم بالقرآن ، ويدعوهم صباحاً ومساءً إلى أن يعارضوه إن كان كاذباً بسورة واحدة أو بآيات يسيرة ، فكلما ازداد تحدياً لهم بها ، وتقريعاً لعجزهم عنها ، تكشف من نقصهم ما كان مستوراً ، وظهر منه ما كان خفياً ، ويقول في موضع آخر : « وفي كتابنا المنزل الذي يدل على أنه صدق ،

نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد... الخ، بل إن الجاحظ يرى أن العرب لا يستطيعون أن يساموا النبي صلى الله عليه وسلم في فصاحته، وأن يحاروه في بلاغته، ويشيع هذا المعنى في كتابه البيان والتبيين، ومن ذلك قوله: « فإذا رأت مكانه - يريد النبي - الشعراء، وفهمته الخطباء، ومن تعبد للمعاني، وتعود نظمها، وتنضيدها وتأليفها وتنسيقها واستخراجها من مدافنها، وإثارتها من أماكنها؛ علوا أنهم لا يبلغون بجميع ما معهم بما قد استفرغهم واستغرق بجهودهم، وبكثير ما قد خولوه قليلا مما يكون معه على البداة والفجاءة من غير تقدم في طلبه، واختلاف إلى أهله، ».

على أن النظام نفسه له رأى في إعجاز القرآن غير القول بالصرقة، فإن كل الذين نقلوا عنه من غير أصحابه يضمون إلى القول بالصرقة قوله: « إن القرآن معجز لما فيه من الإخبار بالأمور الماضية والآتية، ومعنى هذا أنه يرى أن العرب غير قادرين على الإتيان بمثل القرآن: لما فيه من الإخبار بالمغيبات، وقد قرأت كلمة لبعض الكتّاب في مجلة الأزهر^(١) يقول: « فذهب النظام إلى القول بالإعجاز البياني كما يقول أهل العربية، فإن كان لهذا القول مصدر فهو مما يؤيدنا فيما نذهب إليه ».

ثم نسوق نص الجاحظ^(٢): « تكلم في تفسير قوله تعالى « وتفقد الطير فقال: مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائين: لأعذبة عذابا شديدا، أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين، ثم أورد اعتراضا محضه أن الله تعالى أعطى سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، فلكم على الجن فضلا عن الإنس، وعليه منطق الطير وسخر له الريح، فكيف لا يعرف ملكة سبأ مع قرب دارها، واتصال بلادها، ثم يجيب: إن الدنيا إذا خلاها الله وتدير أهلها ومجاري أمورها وعاداتها: كان لعمرى كما تقولون، ولكن لله تدبيراً تعجز عن فهمه العقول، ثم ساق أمثلة على ذلك: أن يعقوب كان أبه أهل زمانه، وكان يوسف وزير ملك مصر ومن النباهة بالوضع الذي لا يدفع، وله البرد وإليه يرجع جواب الأخبار، ثم

(١) هو الشيخ يوسف البيوى في العدد الخامس من السنة ١٣٦٣ ص ٢٦١.

(٢) الحيوان ج ٤ ص ٣٠ وما بعدها طبعة ساسى.

لم يعرف يعقوب مكان يوسف ولا يوسف مكان يعقوب عليهما السلام دهرًا من الدهور . ثم قال : ذلك القول في موسى بن عمران ومن كان معه في التيه ، فقد كانوا أمة من الأمم يكسبون أربعين عاما في مقدار فراسخ يسيرة ، ولا يهتدون إلى المخرج ، وما كانت بلاد التيه إلا من ملاحهم ومتنزهاتهم ، ولا يعدم مثل العسكر الأدلاء والجمالين والمساكين والفيوح والرسل والتجار ، ولكن الله صرف أوهامهم ، ورفع ذلك القصد من صدورهم ، وبعد أن ساق أمثلة أخرى قال : ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب ، وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحدايم الرسول بنظمه ، ولذلك لم نجد أحدا طمع فيه ، ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأمر فيه أدنى شبهة ، اعظمت القصة على الأعراب ، وأشياء الأعراب ، والنساء وأشياء النساء ، ولألقى ذلك للمسلمين عملا ، وطلبوا المحاكاة والتراضى ببعض العرب ، ولكن كثير القيل والقال ، فقد رأيت أصحاب مسيلة وأصحاب بنى النواحة إنما تعلقوا بما ألف لهم مسيلة من ذلك الكلام ، الذي يعلم كل من سمعه أنه إنما عدا على القرآن ، فسلبه وأخذ بعضه ، وتعاطى أن يقارنه ، فيكان لله ذلك التدبير الذي لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا له .

ولا يفوت الرافعى — رحمه الله — هذا النص ، وأنه يناقض المشهور عن الجاحظ . فيقول : وقد يكون استرسل بهذه العبارة لما في نفسه من أثر أستاذه ، وهو شئ ينزل على حكم الملابس ، ويعتري أكثر الناس إلا من تنبه له أو نبه عليه ، أو قد يكون ناقلًا ولا ندري ، ولكننا لو فرغنا أذهاننا مما قاله الأقدمون في معنى الصرفة ، ونظرنا إلى هذا النص على ضوء ما قدمنا لوجدنا أنه ليس غريباً على الجاحظ ، بل ولا على الرافعى نفسه ، فليس الصرف هنا عن الإتيان بكلام يكون في مرتبة القرآن ، ولكنه عن الإتيان بكلام يمكن أن يجادل عنه ، ويناضل دونه ، ويقال فيه كما قال الجاحظ نفسه في موضع آخر : فلم يرم ذلك — يريد المعارضة — خطيب ، ولا طمع فيه شاعر ، ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلفه لظهر ذلك ، ولو ظهر لوجد من يستجيده ، ويحامي عليه ، ويكابر فيه ، ويرغم أنه قد عارض وقابل وناقض ، وبهذا النص نبعد كلام

الرافعي في أن ما قاله الجاحظ من أمر الصرف ، إنما جاء استطراداً ، على أننا نلاحظ أن الجاحظ لم يرد في نصه هذا شيء عن الإعجاز ، ولا ذكر لفظه ، فمن أين جاءهم أن المراد بالصرف ، الصرف عن الإتيان بمثل القرآن ، فيكون هو وجه الإعجاز .

والمسألة صريحة واضحة لا لبس فيها ولا التواء ، : العرب لا يستطيعون أن يجيئوا بمثل القرآن لأنه فوق مستوهم ومحال — أكرمك الله — أن يرى الجاحظ أن بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم فوق مستوى العرب ، ولا يرى بلاغة القرآن ، ولكي تبعد كل شبهة عن القرآن ، رفع الله من أوهام العرب — ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر ، والخطب الطوال البليغة ، والقصائد الموجزة ، والكلام سيد عملهم — رفع من أوهامهم أن يحاولوا أن يجيئوا بشيء في معارضة القرآن ، أعني شيئاً من مثل كلامهم البليغ بعنوان المعارضة ، وهذا يفسر لنا خلو الكتب من شيء صدر عن العرب ذي بال في معارضة القرآن ، وهذا المعنى عبر عنه ابن حزم فقال : فما منهم — يريد البلغاء — أحد يتكلف معارضته إلا انفضح وسقط ، وصار مهزأة ومعيرة يتماجن به ، وبما أتى به ويتطايب عليه ، منهم مسيلة ابن حبيب الحنفي ، لما رام ذلك لم ينطق لسانه إلا بما يضحك الثكلى ، وقد تعاطى بعضهم ذلك يوماً في كلام جرى بيني وبينه فقلت له : اتق الله على نفسك ، فإن الله تعالى قد منحك من البيان والبلاغة نعمة سبقت بها ، والله لئن تعرضت لهذا الباب بإشارة ليسيلنك الله هذه النعمة ، وليجعلنك فضيحة ومهزأة ومسخرة وضحكة ، كما فعل بمن رام هذا من قبلك ، فقال لي : صدقت والله وأظهر الندم والإقرار بقبحه ، وكلام ابن حزم هذا إنما نسوقه على مقدار ما يؤدي لنا من غرض في هذا الذي نحن بصددده ، أما تفسيره للصرفة فله منا موقف آخر ، قلت : والرافعي يسترسل — على حسب تعبيره — إلى هذا المعنى فيقول عن المتنبي ومعارضته : ولم يكن المتنبي كاتباً ولا بصيراً بأساليب الكتابة وصناعاتها ووجوهها ، ولا هو عربي قح من فصحاء البادية ، وإن كان في حفظ اللغة ما هو ، فليس يمنع سقوط ذلك الكلام الذي نسب إليه من أن تكون نسبتة إليه صحيحة ؛ لأنه لو أراد في معارضة القرآن ما جاء بأبلغ منه .

بقي هنا شيء وهو أنه ربما قال قائل : إن المعارضة للقرآن قد وجدت ، وإن الجاحظ أنبتها هنا ، وذكرها هناك في الكلام على الضفدع ، فكيف تقولون إن معنى الصرفة أن الله صرف العرب عن أن يعارضوا ؟ والجواب : أن معنى المعارضة هو ما ذكره صاحب الطراز ؛ بل المقصود من التحدى إنما هو الإتيان بما يظن كونه مثلاً أو قريباً من المثل ، وإمارة ذلك وقوع الاختلاف بين الناس في كونه مثلاً أو غير مثل ، والجاحظ نفسه يسخر من كلام مسيلة ، ويجعله بما لا يشك السامع في نزوله عن درجة الاعتبار ، ونحن نقول : إن العرب ما كانوا يستطيعوا أن يقولوا شيئاً في مرتبة القرآن ، وإنما كان في مقدورهم أن يقولوا كلاماً يشبه فيه الأمر على الأعراب وأشبه الأعراب ، وأنهم عجزوا عن الأولى لأنها فوق طاقتهم ، وصرفوا عن الثانية لئلا يكون القرآن موضع جدل ومحاكمة وتراض ، وعلى هذا نفهم رأى النظام والجاحظ في الصرفة ، ونجمل ما أن يقولوا إن بلاغة القرآن في تناول العرب ، ولا نلزم بهذا الفهم ، ولا تدعى أنه الحق وحده ، بل نتقبل من كل من يرى أننا تعسفنا الطريق ، أو تكبنا الجادة أن يرشدنا ويهدينا . أما الذين يصرحون من المتأخرين بمعنى الصرفة على ما فهمه العلماء فلنا معهم حديث آخر ، وتعالى الله وكلامه .

معاوية

وصف الوليد بن عتبة معاوية بن أبي سفيان فقال : « إنه أبعيد الغور ، ساكن الغور ، وإن العود من الحائه ، والولد من آبائه ، والله إنه لنبات أصل لا يخلف ، ونجل خل لا يقرف . »

(اللحاء) فسر العود والمراد أنه مؤصل . (قرّفه) أى اتهمه وعابه من كلامه : أفضل ما أعطى الرجل العقل والحلم ، فإذا ذُكِرَ ذُكِرَ ، وإذا أساء استغفر ، وإذا وعد أنجز .

الاسلام والتبني

لفضيلة الاستاذ الشيخ أحمد الشرباصي
المدرس بمعهد القاهرة

أخذ كثير من المسلمين أخيراً يتبنون أطفالاً من أبناء الملاجيء ، أو من اللقطاء ، ويعطون هؤلاء الأطفال أسماءهم وألقابهم ، ويعتبرونهم كأبنائهم الشرعيين الحقيقيين في كل شيء ، فهم يعاشرونهم ويخالطونهم ويورثونهم ، ويتخذون من الإجراءات الرسمية والفعلية ما يؤيد هذا الادعاء ، دون أن يتفكروا أن الإسلام لا يرضى عن هذا الافتعال الأثيم والتصرف الذميم ، ويعتبره كبيرة من الكبائر المحرمة ؛ حتى قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « كفر من تبرأ من نسب وإن دق ، أو أدهى نسباً لا يُعرف » ،

لقد كان التبني أسلوباً من أساليب الجاهلية التي دفعت إليها الحمجية والاضطراب في الحياة ، والاختلال في نظام المجتمع ، فقد كان الواحد منهم يختار من الأولاد الجاهيل من يشاء وينسبه إلى نفسه ، ويجرى عليه جميع الحقوق التي يتمتع بها الأبناء ؛ فلما طلع فجر الإسلام بنوره الوضاء على ظلام الغبراء ، أراح اللاغبين الخائرين من هذا التزوير في الأنساب والأرحام والقربات ، وهداهم إلى صراط الحقيقة والواقع ، لحرم عليهم تبني من ليسوا بأولاد حقيقيين لهم ، فقال القرآن المجيد : « وما جعل أديعاهكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، أدعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ، فإن لم تعلموا آباهم فأخوانكم في الدين ومواليكم ، وبذلك حرم الإسلام ذلك التلاعب الخطير ، وأوجب أن ينسب الولد إلى أبيه إن كان معروفاً ، وإن لم يعرف له أب ، بأن كان لقيطاً أو مجهول النسب ، جعلناه أخاً لنا في الدين ، ومولى من موالينا في الملة ، يعامل بشريعة العدالة والإحسان ، وليس وراء ذلك إصلاح أو تنظيم .. »

وقد أراد الحق سبحانه وتعالى أن يقضى على هذا المنكر الجاهلي في معرض مشهور وموقف ملحوظ ، فاختار لخدمته في سبيل القضاء عليه أحب الخلق إليه رسوله محمداً صلوات الله عليه ، فقد كان للرسول عبد مملوك اسمه زيد بن حارثة ، وكان قد أسر وبيع كما يباع الرقيق ، وانتهى به الأمر إلى عشرة الرسول ، فرأى من مكارم النبوة ما فضل معه حياة العبودية على حياة الحرية ، وكان العرب حسب عادتهم يسمونه « زيد بن محمد » على طريقة تم في التبنّي ، وعلم أهل زيد بوجوده عند الرسول ، فأرادوا افتدائه وتخليصه من الرق ، فأقبل أبوه وعمه وأخوه إلى رسول الله يعرضون عليه الفداء ، ولاقوا في الطريق زيدا فسألوه : كيف صنع مولاك إليك ؟ فأجاب : إنه يؤثرني ويفضّلني على أهله وولده . . . فذهب والده حارثة إلى الرسول وخاطبه قائلاً : يا محمد ! أنتم أهل حرم الله تعالى وجيرانه وعند بيته ، تفكّون العاني وتطعمون الأسير ، وابن زيد عندك ، فأمن علينا ، وأحسن إلينا في فدائه فإنك ابن سيد قومه ، ولنا سرفع لك في الفداء ما أحببت فأجاب الرسول الكريم النبيل : بل أعطيك خيراً من ذلك ، فاستشيروه ، فإن اختاركم نخذوه بغير فداء ، وإن اختراني فكفوا عنه . . . فأثروا عليه وفرحوا فدعاه الرسول قائلاً : أتعرف هؤلاء يا زيد ؟ قال : نعم . هذا أبي وعمي وأخي فقال الرسول : هم من قد عرفتهم . فإن اخترتهم فاذهب معهم ، وإن اخترتني فأنا من تعلم ؛ قال زيد : لست بمختار عليك أحداً أبداً أنت مني بمكان الوالد والعلم . . . وعير زيدا أهله بالعبودية ليفضلهاها الحرية فأبى زيد فراق الرسول ، فرجعوا يائسين ، ثم أعتقه وجعله بمنزلة ابنه ، واشتهر ذلك بين الناس ؛ فأنزله الله تحريم ذلك كما سبق ، فأطاع الرسول أمر ربه ، وخضع لتوجيه السماء ، وأوجب أن لا يتأديه أحد إلا باسمه زيد بن حارثة .

ثم أراد الله أن يستأصل شأفة هذا النظام الفاسد باستئصال أهم نتائجه ، وهي تحريم زوجة الولد المتبني على الرجل المتبني ، فاختار رسوله مرة أخرى لهدم ذلك بنفسه ، فقد كان زيد هذا متزوجاً من زينب بنت جحش ، وهي قرشية رفيعة ، فكانت تتعالى عليه ، فشكاها زيد إلى رسول الله وعزم على طلاقها ،

فصحه الرسول أولاً ، بأن يمسك عليه زوجته ، فأصر زيد على الطلاق ، وكان الله قد أراد لنبيه أن يتزوجها ، بعد أن قضى زيد منها وطراً ، حتى يهدم بذلك عنائد العرب الوهمية السخيفة ، فوجد الرسول من تنفيذ ذلك الأمر شيئاً في نفسه أول الأمر ، وأخفى عواطف كانت تضطرم في فؤاده خوفاً من قالة الناس وافتراءهم ، ولكن الله غالب على أمره ، فأمر رسوله بتنفيذ ما أراد ، فتزوجها رسول الله بعد طلاقها من زيد ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ؛ وإلى ذلك أشار القرآن الكريم حيث يقول : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ، وإذا تقول للذي أنعم الله عليه ، وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفى في نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً ، وكان أمر الله مفعولاً . »

وقد يعترض متغلب فيقول : ولماذا يحرم الإسلام « التبني » ، مع أنه من وسائل المطف والحنان ، والعناية بطائفة من البائسين والمحرومين ؟ . فنقول : « إن ميادين البر والإحسان في الإسلام كثيرة عديدة ، وقد فتح الله أمام الناس ما فتح من مسالك الصدقة والهبة ، والعطية والمعاونة ، والخدمة الاجتماعية ، والمساعدة الإنسانية ، والرحمة البشرية ، ولكنه حرم « التبني » ، لأنه ينطوي على كثير من الأخطاء والآثام التي تضر بالصالح العام ، فهو أولاً قائم على الافتراء والكذب ، ومحاولة صبغ هذا الافتراء بصبغة واقعية دائمة ، مع أن المجتمع الإسلامي قائم على الحق والصدق حتى في أقل الأمور ، فلو كذب الرجل على الطفل الصغير بلا ضرورة لكان مسئولاً ؛ ولذلك وصف القرآن الكريم التبني بأنه ادعاء وقول بالافواه ، لا نصيب له من الواقع ، والله يقول الحق الثابت ، الواقع في نفس الأمر ، وهو سبحانه يهدي إلى السبيل القوى . . . والافتراء الموجود في التبني يؤدي اليوم أو غداً إلى اختلاط الأنساب ، واضطراب القرابات ، والروابط العائلية الأصلية ، مع أن حفظ الأنساب أصل من أصول

الإسلام ، وقد كان أحد الأسباب التي حرم الله من أجلها الزنا ، والاشترك بين أكثر من رجل واحد في امرأة ؛ فالتبني إذن اقتراف تتبعه أخطاء ! .

ومن أخطار التبني إيقاع العداوة غالبا بين الأولاد الشرعيين ، أو الأقارب الحقيقيين وبين الولد المتبني بسبب النفقات أو الميراث ، وكثيرا ما يختل تصرف الرجل في التبني ، فيؤثر الدهى اللقيط بخيره وبره ، ويقدمه على أولاد صلبه ، وقد يحرمهم بسببه من الميراث ، وقد حدثت فعلا حوادث كثيرة في هذا الباب ، أدت إلى جرائم قتل ، ونشبت عنها قضايا كثيرة معقدة ، ضاعت فيها جهود وأموال ، وتقطعت بسببها أواصر قرى ، وروابط محبة ، وعلائق أسر .

ومن أخطار التبني سوء الاستغلال ، فقد يتبنى الرجل بنتا يبالغ في إكرامها أولا ، ولكن عاطفة البنوة الحقيقية لا توجد ، فقد يسيء معاملتها على أخطاء لها مسرفا في ذلك ، أو تشذ نفسيته فيتصل بها اتصالا غير شريف ، أو سوى ذلك من مواقف التحول عن جادة الطريق إلى التقصير أو الفجور ؛ ومن الممكن الميسور لمن يريد أن يكون حنوناً عطوفاً أن يفيض أنهار بره ، وأن يسبغ أثواب خيره على من يشاء ، جهرا وسرا ، دون لجوء الى هذا التبني الذي يحرمه الإسلام لما فيه من آثام .

وحسب التبني شناعة أنه تشبه بالكافرين ، وتغيير لما صنعه يد الله ، وتحريف لما نظمه الخالق الكريم ، ولذلك قال الرسول : من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام . وقال : من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله تعالى منه صرفا ولا عدلا (أو توبة ولا فدية) .

إن ميادين المساعدة كثيرة عديدة ، ومن أراد الخير والبر فلن يعدم - والله - لها طرقا وسبلا ، فما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإنها مدرجة الهاوية ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، وما وضعته يد الحكيم الرحمن لا تنقضه أبدا يد الإنسان . . .

دُجَى النور

لسماحة الاديب الكبير الاستاذ السيد ،

شجرة صناعية مورقة ، أقيمت فيها ثريات النور ، مقام الثمر والنور ، وقد
جُعل عند أصلها طائر جميل الصنع ، هذه الكلمة في وصف تلك الشجرة :

لقد أبدع الحسن حتى استلب وخف له القلب حتى وثب !

ومنها في وصف الشجرة الصناعية :

نفل دجى الليل عن دوحة جرى النور في زهرها فانسكب
لقد أورق الغصن حتى زها وشف به الزهر حتى التهب
لمن فن يحمل المبدعات كما يحمل الدود حلو الطرب ؟
سرى من الحسن في مترف من الغصن يزهى بنور عجب
عن السلك أومض نواره فهل مس قلبي حتى وجب
يحوم على حسنه للقلوب فراش إلى زهره يجتذب
جميل التوقد بدع الخور كما لاح شم تهاوى الحبيب !
أزاهير تصدق وعد الضياء وما صدق الفجر حتى كذب

ومزهرة من بنات الرياض كما حليت غادة بالذهب !
من الدوح نزلة بالفصوص كأن بها طفلة تغتصب !

سما تاللق بالنيرات
ثريات نور كهر الجوى
تحلى بها الجح حتى انجلى
تجلت حلى واثنت لجأه
ضياء فكف كغمر الجفون
سما صدعت به الداجيات
كأن الدجى نهبه للجمال
مضى العلم يلعب فى دوحه
فلو أعطيت حسننا المثمرات
كست ظلما طائرا لو يفوه
زهته الملاحه حتى بدا

فنجم أضاء ونجم غرب !
يفض الجوانح لاهن لب !
وخف بها الليل حتى ذهب
كما بودرت قبيلة تنهب
ووجه تهلل ثم اكتاب
مراحا كما شق ثوب الطرب
فكحوله منه والمختضب
وكم نزل الجسد بين اللعب
لأثمن سلب النها كالغيب
لأنشد فى حسننا بل نسب
وأطمعه الزهر حتى ارتقب

مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

طريف الحياه وأين الطريف
غنيت فسامت أين الثراء
حسان العشيات أين الجمال
سئمت المعاد وأن الحياه
حياء توقد بالفاجعات
كأن المى قبلات العريد
فوا كبدى هل يدوم الحديث
فتنا وكم نعبد الزائفات
فتى لقبوه أمير البيان
هو الحق مطلبه فى الوفاق

لا فى الجمال ولا فى الغشيب ؟
وزهدت فى الحسن حين اقترب !
أحين بدا أم غداة احتجب ؟
كأنفاس أبنائها تسلب
فقطعمها نحن جزل الخطب
بنفسى لو غازلت من كشب
وأين بفتانه المنتخب
بزيف الجمال وزيف الادب
فأقبل يرزح تحت اللقب
ضلال فسائل به من شغب !

فَعَلِ الْمَوْلَانَا الْجَدِيدُ

اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم

منى الناس منذ القدم بالخلط بين الخصائص النبوية وبين الصفات الإلهية ، وقد تبادت كثير من الأمم في هذا الشطط حتى ألَّهوا رسلهم ، وهذا ضلال بعيد تردى في حماه أكثرهم مبالغةً في تعظيمهم ؛ لذلك شرع آخر الأديان وهو الإسلام بالعلاج الحاسم لهذا الشر المستطير ؛ فكثُر في كتابه المنزل ما يدفع هذا الوهم عن العقول البشرية ، حتى لم يدع لوناً من ألوان البيان إلا أتى به حماية للنفوس من أن تلتفت بهذه العقيدة الباطلة . وقد حمى الله المسلمين من شر هذا الكفر الصراح ، بحيث لا يخشى منه أن تروج لهذه البدعة دعوة مهما أوتى الداعى إليها من سحر البيان ، وخلاصة اللسان ، ومهما تستر بالتقوية ، وترس بالتأويل ، فإن النصوص التي وردت في هذه المسألة لا تحتمل التضليل بأى وجه من الوجوه .

نعم إن رجالاً من المضللين ظهروا في عصور مختلفة روجوا بدعاً من هذا القبيل ونشروها في فئام من صغار العقول ، إما مبالغةً منهم في تقديس الرسول ، وإما محاولةً منهم إفساد عقائد العامة لتزيق وحدة المسلمين ، فلم يوفقهم الله لبلوغ أربهم ، وبقيت العقيدة الإسلامية على نقائها الأول عند جمهور المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وبقيت بقايا من هذه الفرق تعاني الانحلال تحت تأثير النهوض الأدبي للمسلمين في كل بقعة من بقاع الأرض .

ومن أفعال ما يعين هذه الشراذم على نجاح حركتهم التطهيرية كتاب جليل الشأن ألفه وطبعه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ المصالح الشيخ عبد الجليل هيمى أبو النصر شيخ كلية اللغة العربية أسماه (اجتهاد الرسول) ، جمع فيه كل

ما قاله أئمة المسلمين في التفرقة بين الخصائص النبوية وبين الصفات الإلهية ، فجاء أجمع كتاب في هذا الباب . وقد أجاد تبويبه وترتيب مباحثه حتى إن القارىء لا يكاد يتم فصلا منه حتى يشفق لقراءة تالیه .

ويمكن بنا أن ننقل كلمة الأستاذ لتكون نبراسا لكل مسلم وهى :

« فالمسلمون الذين يؤمنون بأن علم اللوح والقلم من علم الرسول الكريم ، ويرون أن الدنيا والآخرة من فضل جوده صلى الله عليه وسلم ، أو يعتقدون أنه كان يعلم كل ما كان وما يكون ، يعكسون آية رسالته ، ويضعونه فوق الرسول ويشبهونه بالله ، أو يجعلونه شريكا له . وليس ذلك مما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في تحديد منزلته كما أمره ربه ، وليس ذلك يستقيم مع مثل هذه الآية الكريمة : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ إنما إلهكم إله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

هذا هو الاسلام

هذا كتاب حافل بالبحوث الدينية ، والمناقشات الفلسفية المتصلة بالاسلام وحكمته الاجتماعية ، وضعه الأستاذ النابه محمد عبد القادر العمارى للدفاع عن الدين من حيث هو دين ، وعن الإسلام من حيث هو خاتم الاديان السماوية . سلك فيه سبيل التحليل الفلسفى للتيارات الفكرية التى كان لها أكبر الآثار على تطورات العقلية البشرية وإجهاها على مخاصمة الدين ، وبدأ بثورة أوروبا على الكنيسة ، التى كان طابعها الاعتماد على العقل وحده فى النظر إلى الأشياء والناس والكائنات على طريقه الفلسفة اليونانية ، حتى انتهى الأمر إلى عهد فواتير الفيلسوف الفرنسى الذى أبلغ العقل إلى منزلة من التقديس لم يكن يحلم بها .

ثم عرج على الثورة الروسية التى جرت على تعاليم (كارل ماركس) وهى أشد عداء للدين من سابقتها ، ومر بثورة تركيا وأثبت من تعاليم أقطابها أنها هى الأخرى منابذة للدين ، ومنتهمه إياه بأنه العامل الرئيسى فى دهورة الشعوب وتضليلها . وفاته التنويه بالثورة الفكرية فى مصر التى اختمرت فى عقول عدد

لا يستهان به من المتعلمين ، وأصبحت تهدد بالانتشار والذوب كغيرها بين الطبقات المتعلمة في العالم كله .

بعد هذه المقدمة شرع يبحث عن علة تأدى الحالة النفسية للشعوب ، إلى ما آلت إليه من الالحاد . فقال : « إن الذى يتحمل المسؤولية وتنصب عليه كل التبعات فى الانقلاب على الدين ، ومحاولة محوه من الوجود ، ووصفه بكل هذه الصفات كما رأيت ، إنما هم رجال الدين أنفسهم ، لأنهم لم يحاولوا أن يفسروا الدين بعقلية حرة تجديدية ، وعلى ضوء نظام التطور والارتقاء الخ ،

وأنا هنا أخالف المؤلف كل المخالفة ، لا لأبرىء رجال الدين ، ولكن لأثبت أنهم لو كانوا قبلوا هذه الثورة على العقائد بكل ما يمكن أن يؤتوه من إحاطة بالعلوم ، ومن لسن ماض وبيان فياض ، لما استطاعوا أن يقفوا هذا السيل الجارف من التيار الإلحادى ، الذى يشكو منه المؤلف ، لأنه قائم على أصول فلسفية ومقررات علمية ليس فى وسع أحد زعزعتها إلا بالوسائل التى تمائلها أو تنفوق عليها تأثيراً فى النفوس ، وإقناعاً للعقول .

ذلك أن العلم قرر ، بعد أن بلغ أشده ، فى دستوره الرسمى ، أن كل قول لا يستند إلى دليل محسوس لا يجوز الأخذ به ولا اعتباره علماً ؛ فإن كان يحل بعض الاشكالات العلمية ، ولا يتعارض مع بعض المقررات السابقة ، يمكن اعتباره رأياً علمياً ويضم إلى أمثاله من الآراء العلمية ، حتى يثبت دليل محسوس أو يلفظ نهائياً للحول رأى آخر محله .

ولا يجمل أحد أن الدين يقوم على عقيدة ثابتة بوجود خالق للكون دبر عوالمه بقدرته ، وأرسل للناس رسلاً ليهديهم إلى الصراط السوى من الأخلاق والمعاملات ، وأنه يعيدهم بعد الموت ويحاسبهم على ما فعلوا من خير وشر . والعلم الذى له السلطان اليوم على العقول يقرر أن كل هذه المقررات دعاوى أوجدتها الأهواء الإنسانية ، ودانت لها بدافع حبها للبقاء وإنها بقية من وساوس أهل القرون الخالية ، أوجدتها الجهالة ، وارتختها السذاجة الفكرية .

فكان لا انتشار العلم في هذه العصور المتأخرة، وفيما تم على يديه من الفتوحات العظيمة في عالم المادة، أثر كبير في خضوع العقول والقلوب لسلطانه، وفي تلقف أحكامه وفلسفته الإلحادية بالقبول البالغ درجة التقديس.

فما دام العلم الذي يدرس في جامعات العالم كله يقف من العقائد هذا الموقف، فلا أمل في إعادة سلطان الدين على العقول مهما بلغ نشاط دعائه، إلا إذا غير العلم موقفه وخضع لسلطان الأدلة العملية القاطعة التي أثبتت أخيراً وجود العالم الروحاني، وخلود الإنسان بعد الموت، وقرر صحة النتائج التي وصل إليها العلماء الذين اشتغلوا بهذا البحث في أوروبا وأمريكا ووصلوا منها إلى وجدان الأدلة الحاسمة الحاصلة على جميع الشرائط العلمية في إثبات هذه الحقائق. وأى مانع يحول بين المسلمين وبينها وقد دخلت الجامعات الكبرى في إنجلترا وأمريكا، وقال بها الوف من رجال العلم في العالم كله؟

هذه هي السبيل إلى إثبات صحة المقررات الدينية في هذا العصر، وهذه هي الوسيلة الوحيدة للحد من شطط بعض شذاذ العلماء الذين لا يزالون ينشرون الفلسفة المادية في أرجاء الأرض. وكل وسيلة غيرها لن تجدى نفعا ولو تذرع صاحبها بجميع المغريات الكلامية.

هذه الحقيقة يشمر بها على وجهها الصحيح كل من يشتغل بالعلم في هذا العصر طالبا كان أو أستاذا.

هذا رأينا والكتاب الذي نحن بصدده وإن كان قد أغفل الإمام بهذا الحائل الشديد أمام كل دعوة دينية مهما كانت بالغة، إلا إنه جدير بالقراءة لأنه ألم بكثير من الشؤون العقلية والاجتماعية، ونظر إليها نظرات صائبة، وحكمها بحكمات عادلة، وهو حافل بآراء كثير من الذين سبقوه بالكتابة في هذا الموضوع وقد ناقشها مناقشات قيمة دلت على منطقته السليم، وعقليته الخصبية. فنحن لذلك نوصي بالاطلاع على هذا الكتاب فقد يفيد المتكلمين في الدين فوائد قيمة.

تحقيق كلمة الاخلاص

هذه رسالة قيمة للحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن المعروف بابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ ، حققها وضبطها وعلق عليها صاحب الفضيلة الشيخ محمود خليفة المدرس بكلية الشريعة ، والشيخ أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر جاء في مقدمتها قولها :

« وبعد ، فإن كتاب (تحقيق كلمة الاخلاص للإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي من نواذر المكنب ، فهو على صغر حجمه جليل الأثر ، حميد الثمر ، من حقه أن يكون تحفة دينية يتهداها أبناء الإسلام ويحيلون فيها أبصارهم ، ويمعمون في معانيها بصائرهم ، ولا غرو فقد بسط فيه ابن رجب ما انطوت عليه كلمة الاخلاص وهي : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » من أبتكار الممانى وإسرار الأفسكار . »

وقد وفاه حضرتا ناشريه الفاضلين حقه من تحقيقه وضبطه ، والتعليق عليه ، والترجمة لرجاله ، وشرح ما يحتاج إلى شرح من ألفاظه وعباراته . لجاء حافظا بهذه التحقيقات والشروح حتى زادت على مادة الأصل نفسه ، وكلها بما يحتاج إليه تاليه ، من معاني الألفاظ ، ومؤديات العبارات ، وتراجم الرجال ، على ورق جيد ، وطباعة متقنة ، لجاء كما قالوا تحفة يتهداها أبناء الإسلام . فنشكر لها ما بذلاه من جهد في نشرها ، وما عنيا به من إتقان في طبعا .

تصحيح خطأ

حدث خطأ في المقال الافتتاحي صفحة (٥٧٨) فسقط بمد كلمة (الحاجة) في السطر العشرين منها هذه العبارة وهي (على وجه لم يرعه أصحاب رموس الاموال) فترجو القارىء أن يضعها بالقلم بين السطرين ليستقيم المعنى .

مصائب الدخان

هذه رسالة تقع في مائة وعشرين صفحة أتى فيها مؤلفها حضرة الاستاذ محمد عبد الغفار الأفغانستاني في تعداد مضار التبغ ، على فصول كثيرة في التنديد به وبمدخنيه . وبما ذكره نقلا عن حضرة الدكتور صلاح الدين عبد النبي الإخصائي في الأمراض العصبية هذه الفذلكة وهي :

كانت عادة التدخين منتشرة في أمريكا حينما اكتشفها (كريستوف كولومب) إذ كان أهلها يضعون بعض الأعشاب في مواقد النار ثم يستنشقون الدخان المتصاعد منها ويخرجونه من أفواههم وأنوفهم . ثم نقلت بعد ذلك شجيرات التبغ إلى أوروبا وعرفت باسم (نيكوتين) نسبة إلى نيكوتين سفير البرتغال في جنوب أمريكا ، وزادت منذ ذلك الحين عادة التدخين حتى سيطرت على جميع شعوب العالم .

ثم نقل عن حضرة الدكتور المذكور قوله : : إذا أصبح الإنسان أسير عادة الدخان فانها تؤثر تأثيراً سيئاً في صحته من غير شك وبخاصة في القلب إذ تضطرب دقاته والدورة الدموية ، ويشعر الإنسان بالدوار من آن لآخر نتيجة تقلص شرايين الدماغ ، وقد يتعرض مع تقدم السن لضعف الدم المرتفع والذبحة الصدرية ، كما ان جهازه الهضمي والنفسي يتأثران بالتدخين فيفقد المدخن شهية الاكل وينتابه السعال المعروف بسعال التدخين . وإذا تأثر الجهاز العصبي يشعر المدخن بتقلع وخدر في الأطراف وبآلام في الأعصاب .

وقال جوزيف برن مدير دار التجميل الآ : : ان وجوه السيدات المدخنات تغدو ظمأنة بجفاف مزيلة ضامرة وضعيفة وخروطة ما دام قد تمكنت منهن عادة التدخين . وتجتمع الغضون حول زوايا أفواههن ، وتمتد شفتهن السفلى إلى الامام ، وتبرز تحت الشفة العليا ، وتحماق عيونهن ، وتسترخي جفونهن .

وقال الدكتور تسارلس باير من مدينة شيغا الأمريكية : : إن طفل المرأة المدخنة يولد ضعيفاً منهوك القوى فهو متسمم الجسم ، وقد يموت في غضون الأسبوعين الأولين من ميلاده حيث تبين من الوصفات التشريحية أن أسباب الموت في أطفال المدخنات كانت ترجع إلى تلف الكبد والقلب وغيرهما من الأعضاء الرئيسية ، وكتاب الاستاذ الأفغانستاني يحتوي على كثير من الفوائد المليئة بمكافحة آفة التدخين فلشكره على همته في وضعه ونرجو له التوفيق .

فهرس

الجزء السابع - المجلد الحادى والعشرون

الموضوع	بسم	صفحة
عناصر المدنية فى الديانة الإسلامية	د. حضرة صاحب العزة مدير المجلة	٥٧٧
الرجية	د. فضيلة الاستاذ الشيخ فكرى ياسين	٥٨٢
ناحية من أسلوب القرآن فى القصص	د. محمد محمد المدنى	٥٨٦
من توجيهات القرآن	د. عبد العليف السبكى	٥٩٠
السيرافى	د. الدكتور الشيخ محمد الفحام	٥٩٥
التقليد وخطره	د. محمد يوسف موسى	٥٩٩
مكارم الاخلاق	د. الاستاذ الشيخ أبو بكر ذكرى	٦٠٣
الطفولة الضائعة	د. أبو الوفا المراهى	٦٠٨
صنائع المعروف	د. محمد عبد التواب	٦١١
الادب الدينى	د. ابراهيم أبو الخشب	٦١٤
أعلام الأزهر	د. محمد كامل الفقى	٦١٧
اللسان	د. عبد الحميد المسلول	٦٢٣
الطبيعة فى شعر ابن زيدون	د. الشيخ حسن جاد	٦٢٨
الإسلام فى وحدته وتعالجه	د. محمود أحمد جملة	٦٣٤
الإبلاء	د. منصور رجب	٦٣٨
العقيدة الإسلامية	د. بدر المتولى عبد الباسط	٦٤٢
أدب الجوار	د. عبد المنعم على أبو سعيد	٦٤٧
علماء المسلمين وتقدم العلوم	د. عمر طلعت زهران	٦٥٢
مذهب الصرفة	د. محمد حسن العمارى	٦٥٦
الإسلام والتبني	د. أحمد الشرباصى	٦٦١
دوحة النور	د. سماعة الأديب الاستاذ السيد	٦٦٥
فى عالم المؤلفات	...	٦٦٧